تقدُّم

مجلة تصدر في السبت الأول من كل شهر

رئيس التحرير:
أسامة العبدالرحيم

العدد السادس - يونيو ٢٠٢٤ | INFO@TAQADOOM.COM | TAQADOOM | TAQADOOM.COM

تقدُّم

مجلة شهرية

تصدرها منصة تقدُّم

رئيس التحرير

أسامة العبدالرحيم

مستشار التحرير

أحمد الديين

نائب رئيس التحرير الأول

حمد العيسى

نائب رئيس التحرير الثاني

هلا عبدالله

سكرتير التحرير

ربيع ديركي

مصمم الغلاف

جيفارا عبد القادر

دليلك إلى «تقدُّم»

كُتَّاب المقالات

«العدد تفاعلي»

تستطيع الوصول إلى المادة عن طريق الضغط عليها بالفهرس

اجتياح رفح اعتداء على السيادة المصرية

بقلم: د. كريمة الحفناوي

كاتبة من مصر وقيادية بالحزب الاشتراكي المصري

ص ١٦

غزة تحرر العالم

بقلم: د. عصام الخواجا

نائب الأمين العام لحزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني

ص ١٨

التظاهرات المؤيدة لفلسطين في الدول الأوروبية ذكرتنا بالقضية الفلسطينية

بقلم: وليد الياس

صحافي متخصص في الشؤون اليونانية وقضايا الشرق الأوسط.

ص ٢٠

كندا من الداخل

بقلم: د. طنوس شلهوب

أستاذ جامعي مقيم في كندا

ص ٢٢

- **المقالات المنشورة تُعبر عن آراء كُتَّابها فقط، ولا تُعبر بالضرورة عن رأي مجلة تقدُّم.**
- **ترتيب المواد يخضع لضرورات الاخراج الصحافي.**

تحقيق

فوزي المجادي ... مجد الكويت

تحقيق وحوار: هلا عبد الله ص ٦

داخل العدد

شؤون دولية

أصداء الاستعمار الحديث والمخاطر المتأصلة في حكم وليام روتو لكينيا

بقلم: كريبسو ديالو ص ٢٤

سياسة

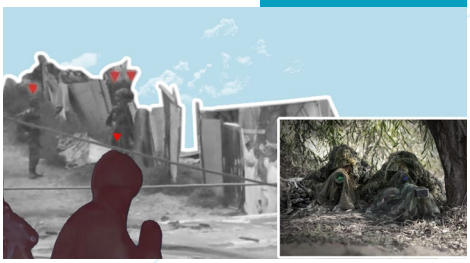

الطريق الوعر إلى رفح

بقلم: أبو علي حسن ص ١٤

رأي « تقدُّم »

رقابة الرأي العام الشعبي أصبحت مهمة ملحّة

ص ٥

فكر وفلسفة

الصين ونظامها الاجتماعي: بين القوالب الميتة والرؤية الحية 2/2

بقلم: يوسف شوقي ص ٢٨

وجوة واحداث

التعليق الأول لبعض مواد دستور الكويت وتعطيل الحياة النيابية قبل نصف قرن

ص ٣٦

الأطروحة 11

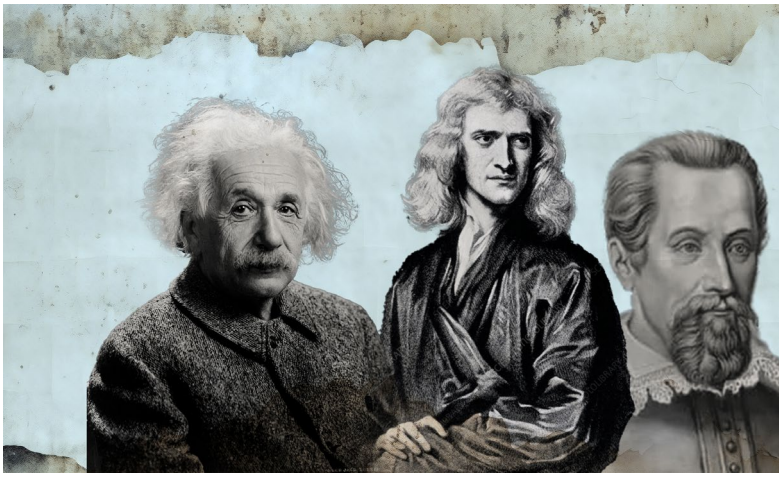

نظرية الثورة العلمية: عرض ونقد 2/2

مع د. هشام غصيب

ص ٣٢

تقدُّم

TAQADOOM

رقابة الرأي العام الشعبي أصبحت مهمة ملحّة

في معرض ما تناولته المذكرة التفسيرية لدستور الكويت بشأن «التصوير العام لنظام الحكم» جرى التأكيد بعبارات واضحة لا لَبْس فيها على أهمية رقابة الرأي العام كعمود فقري لشعبية الحكم، وذلك عندما أشارت المذكرة التفسيرية للدستور إلى أنّه «من وراء التنظيم الدستوري لمسئولية الوزراء السياسية، توجد كذلك وبصفة خاصة رقابة الرأي العام التي لا شك في أنّ الحكم الديمقراطي يأخذ بيدها ويوفر مقوماتها وضماناتها، ويجعل منها مع الزمن العمود الفقري في شعبية الحكم. وهذه المقومات والضمانات في مجموعها هي التي تفيء على المواطنين بحبوحة من الحرية السياسية، فتكفل لهم - إلى جانب حق الانتخاب السياسي - مختلف مقومات الحرية الشخصية (في المواد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢، ٣٣ ، ٣٤ من الدستور) وحرية العقيدة (المادة ٣٥) وحرية الرأي (المادة ٣٦) وحرية الصحافة والطباعة والنشر (المادة ٣٧)، وحرية المراسلة (المادة ٣٩) وحرية تكوين الجمعيات والنقابات (المادة ٤٣) وحرية الاجتماع الخاص وعقد الاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات (المادة ٤٤) وحق تقديم العرائض إلى السلطات العامة (المادة ٤٥) وفي جو مليء بهذه الحريات ينمو حتماً الوعي السياسي ويقوى الرأي العام، وبغير هذه الضمانات والحريات السياسية، تنطوى النفوس على تذمر لا وسيلة دستورية لمعالجته، وتكتم الصدور آلاماً لا متنفس لها بالطرق السلمية، فتكون القلاقل، ويكون الاضطراب في حياة الدولة، وهو ما اشتهر به النظام الرئاسي في بعض دول أمريكا اللاتينية، وما حرص الدستور على تجنبه وتجنيب الكويت أسبابه».

ولعلّ الكويت اليوم في ظل الظروف الراهنة أصبحت أحوج ما تكون إلى تعزيز رقابة الرأي العام الشعبي على الحكومة وتوجهاتها وسياساتها وقراراتها وتشريعاتها، خصوصاً في غياب الرقابة البرلمانية، ناهيك عن أنّ الحكومة أصبحت تمتلك، بوصفها جزءاً من سلطة الأمر الواقع، جانباً من سلطة تشريع القوانين وليس مجرد تنفيذها. إنّ المجتمع الكويتي، كأي مجتمع إنساني آخر، يضم طبقات وقوى اجتماعية مختلفة ذات مصالح متناقضة، فعلى سبيل المثال من الطبيعي عند تشريع قانون الايجارات أن تختلف مصالح ملاك العقار عن مصالح المستأجرين، وأن تتعارض عند تشريع قوانين العمل مصالح أرباب الأعمال مع مصالح العمال، وكذلك من الطبيعي أن تتناقض مصالح الطبقات الاجتماعية المختلفة حول قوانين الضرائب وما إذا كانت منحازة أم عادلة اجتماعياً، وأن تتباين أولوياتها، ومن هنا فإنّه من المهم عند تشريع القوانين عدم تجاهل مصالح الطبقات الشعبية وحقوقها، وتجنّب الانحياز لسطوة القوى الطبقية المتنفذة، ومراعاة متطلبات العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والمساواة.

وهناك دوماً خشية مشروعة من أن تغيب هذه الاعتبارات الأساسية عند تشريع القوانين، فما بالك في حالة غياب التمثيل النيابي، ما يفرض بالضرورة تعزيز دور الرقابة الشعبية، أي رقابة الرأي العام، كتعويض وقتي وجزئي عن ذلك الغياب.

وهذا ما يتطلب من وسائل الإعلام ومن النقابات العمالية والجمعيات المهنية وجماعات الضغط ومؤسسات المجتمع المدني، ومن التيارات السياسية أن تكون على مستوى المسؤولية وتقوم بدورها في تجسيد رقابة الرأي العام الشعبي ليس فقط على الحكومة وقراراتها كسلطة تنفيذية، وإنما كذلك تجسيد رقابة الرأي العام الشعبي على الحكومة كجزء من سلطة الأمر الواقع خلال توليها جانباً من سلطة تشريع القوانين.

«هيئة التحرير»

تحقيق وحوار: هلا عبد الله

نائب رئيس التحرير

فوزي المجادي مجد الكويت

اشتعلت شرارة الانتفاضة الفلسطينية الأولى، واشتعلت قلوب العرب معها، فيديوهات تنكيل جيش الاحتلال بالشعب الأعزل الذي استخدم الحجارة كأداة للدفاع عن الكرامة والمقدسات والأرواح، كانت تُعرض على الدوام على نشرات الأخبار المحلية والعربية والعالمية.

بالطبع كان فوزي المجادي أحد أوائل الذين تسابقوا للدفاع عن فلسطين، استطاع السفر، مرة أخرى، إلى جنوب لبنان، والانضمام إلى مقاتلي الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين كمقاتل عادي، أتم دورته التدريبية لمدة ٣ أشهر، ثم حصل على اسمه الحركي «فيليب». حينها تقدم الشهيد بطلب خاص للقيام بمهمات داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتمت الموافقة على طلبه من قبل لجنة خاصة، بعد أن تم التثبت من جاهزيته القتالية والنفسية والانضباطية، ومن النتائج العالية لدورته التدريبية. تم اختياره ضمن مجموعة تضم، أيضاً، الشهداء: الملازم حسين أحمد حسين «قائد المجموعة»، المساعد رياض عبد العزيز السروجي، ليتم تحديد موعد انطلاق العملية العسكرية في ٤ يونيو/ حزيران ١٩٨٩ في مستعمرة «مسكاف عام»، وهي التي أطلق عليها «عملية شهداء نابلس».

هناك، اشتبك الأبطال الثلاثة مع حامية المستوطنة من الجنود الصهاينة، لمدة ساعة ونصف الساعة قبل استشهادهم جميعاً، موقعين حوالي ١٢ إصابة بين قتيل وجريح، وفق رواية العدو.

في الذكرى الـ ٣٥ لاستشهاد المقاوم البطل الكويتي فوزي عبد الرسول المجادي الذي ارتقى شهيداً، مع رفاقه، على طريق تحرير فلسطين، أردنا أن تكون الذكرى من القلب إلى القلب من خلال شهادة ومقابلات مع رفاق وأصدقاء للشهيد فوزي المجادي تضيء على جوانب من حياته الشخصية والنضالية وانتمائه بالموقف والممارسة إلى فلسطين التي ارتقى شهيداً على درب تحريرها.

وتأتي الذكرى الـ ٣٥ لاستشهاد فوزي المجادي، على وقع عملية طوفان الأقصى التي تسطر منذ السابع من أكتوبر العام الماضي إلى يومنا هذا، ملاحم بطولية في مقاومة العدوان الصهيوني على غزة العزة والكرامة، ملحقة في جيشه الخسائر الفادحة، مؤكدة أنها استمرار للسير في التاريخ النضالي المقاوم للشعب الفلسطيني ضد العدو الصهيوني، حتى تحرير كامل فلسطين من رجس الاحتلال.

كثير الصمت يلفت الانتباه ما أن يبدأ الكلام

من المعروف عن الشهيد فوزي المجادي أنه كان يقضي جلّ وقته مع الفلسطينيين، سواءً كانوا رفاقه في التدريب العسكري في منظمة التحرير الفلسطينية، أو مع أصدقائه وزملائه في العمل، لهذا بحثنا عن أحدهم، لأننا أردنا أن نتعرف على جوانب من اهتماماته العامة، تواصلنا مع الأستاذ عبد الله المجادي، من عائلة الشهيد، الذي دلّنا على الأستاذ عبد الفتاح الرنتيسي، الصديق المقرب للشهيد، المقيم حالياً في الأردن.

كانت المشاعر المختلطة للأستاذ عبد الفتاح الرنتيسي جلية، ما بين الحنين لذكرياته مع الشهيد في الكويت التي ولد وقضى فيها أجمل سنوات عمره، والفخر بالصديق الشهيد فوزي الذي بذل الدم في سبيل نصرة فلسطين القضية المركزية، والأسى لاضطراره ترك الكويت بسبب سياسات ترحيل الفلسطينيين بعد التحرير.

سألناه عن كيفية تعرفه على الشهيد:

الرنتيسي: كان الشهيد فوزي المجادي عسكرياً في وزارة الداخلية برتبة رقيب، وفي أوائل الثمانينات استطاع الالتحاق في صفوف المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان - من دون علم أهله بالطبع-، قاتل هناك ببسالة لما يقارب الأربعة أشهر، لكنه اضطر للعودة إلى الكويت بعد حصار بيروت في العام ١٩٨٢، بواسطة السفارة الكويتية. عاد الشهيد للعمل في وزارة الداخلية ولكن بصفة موظف مدني وليس عسكرياً كما في السابق، وكنت موظفاً في وزارة الداخلية، المسؤول عن ملفات العسكريين «اللي عليهم إشكاليات». هنا تعرفت على الشهيد لأول مرة، ما شدني إليه إنه كويتي قاتل من أجل فلسطين، وأنا فلسطيني أعيش في الكويت التي أعتبرها بلدي الثاني، قررنا

أن نلتقي في «كوفي شوب» في منطقة السالمية، وتوطدت العلاقة بيننا وأصبحنا مقربين جداً.

شخصية الشهيد فوزي المجادي لطيفة جداً، هادئةً جداً وخجولةً جداً، كثير الصمت لكنه يستطيع أن يلفت انتباه الجميع بمجرد أن يبدأ في الكلام، فهو شخص ذو منطق وثقافة عالية، ملم بأبعاد القضية الفلسطينية وارتباطها التاريخي بالكويت، فالجميع يعلم بأن منظمة التحرير الفلسطينية تأسست في الكويت وكان مقرها الرئيسي فيها، وبأن أغلب قياديي المنظمة كانوا يعيشون فيها أيضاً آنذاك، كما أن الكويت كانت تحتضن أكبر جالية فلسطينية في المهجر.

«قدساوي»... يحب الإيقاع العدني «العدنيات»

الرنتيسي: كنا من عشاق المسرح حيث شاهدنا أغلب المسرحيات آنذاك، مسرحيات عبد الحسين عبد الرضا على سبيل المثال، وأذكر أيضاً إنه كان يحب مسرحية (لولاكي)، بطولة انتصار الشراح، وولد الديرة.

يحب كرة القدم، وبالمناسبة هو يشجع نادي القادسية «قدساوي»، بينما أنا أشجع نادي العربي، يعشق الأغاني ذات الإيقاع العدني «العدنيات»، ويحب أغاني الفنان محمد البناي، وأشعار محمود درويش وسميح القاسم.

كان الشهيد مؤمناً بأفكار التحرر الوطني والتقدم والعدالة الاجتماعية والديمقراطية، معجباً بالشخصيات الوطنية أمثال أحمد الخطيب وعبد الله النيباري وأحمد الربعي.

وعن الجانب الإنساني من شخصيته، وحياته اليومية يخبرنا الأستاذ عبد الفتاح الرنتيسي:

الشهيد فوزي كان شديد التعلق بوالدته ويحرص أن يشتري لها هدية مع كل راتب شهري يحصل عليه، بالمناسبة هو يعشق قصيدة (أحنُّ إلى خبز أمي وقهوة أُمي – للشاعر محمود درويش)، كان دائم العطف على العمال حيث أنه يقدم لهم الهدايا، وأذكر بأنه عندما نذهب إلى «مطعم السلام» في منطقة السالمية، الذي كان يقدم «برياني اللحم» الأكلة التي يفضلها الشهيد فوزي، كان غالباً ما يدخل إلى المطبخ الداخلي للمطعم ليمازح الطباخين الآسيويين ويتحدث معهم أثناء إعدادهم للطعام.

سألناه عن مدى تأثر الشهيد فوزي المجادي بالقضية الفلسطينية:

الرنتيسي: فلم تغب القضية الفلسطينية عن وجدانه وفكره، كان أغلب أصدقائه من الفلسطينيين، يتعمد التحدث باللهجة الفلسطينية على الرغم من أنني أتحدث معه باللهجة الكويتية التي أتقنها، دائماً ما يرتدي البنطلون والقميص عوضاً عن الزي الكويتي (الدشداشة والغترة والعقال)، حتى عندما يتعرف على أصدقاء فلسطينيين جدد، كانوا يسألونه «من أي بلدة في فلسطين؟» وذلك لاعتقادهم بأنه فلسطيني.

اعتنق خيار المقاومة وتأثر بقيادي منظمة التحرير الفلسطينية، خصوصاً القيادي صلاح خلف (أبو إياد).

لقد عاش القضية الفلسطينية شكلاً ومضموناً،

كان مؤمناً بعمق وتجذر ترابط الشعبين الكويتي والفلسطيني، ووحدة الهدف والمصير، وكان يستشعر المعاناة التي يعيشها الفلسطينيون، رافضاً كل أشكال الانهزام والذل والخذلان.

الرفيق «فيليب»

لم يكن الشهيد فوزي عبد الرسول المجادي الكويتي الوحيد الملتحق بصفوف المقاومة الفلسطينية، بل سبقه العديد من الشباب والشابات الذين ترجموا تضامنهم مع فلسطين إلى أفعال وطنية ثورية، بيد أن ما يميز الشهيد فوزي هو إصراره على القيام بعملية فدائية على الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وفقاً لشهادات بعض قيادي الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، استطاع الشهيد فوزي إتمام الدورة التدريبية المكثفة على الرغم من معاناته من مشكلة صحية في قدمه، وأيضاً عندما عرف أن من شروط الالتحاق بالعمليات الفدائية هي سلامة النظر-وحيث إنه يلبس النظارات الطبية- رجع إلى الكويت واستبدل النظارات بالعدسات الطبيـة، أي أنه «تحايل» لكي يلتحق في عملية « شهداء نابلس».

في ذكراه الطيبة: فوزي المجادي نسر الكويت وفلسطين

وهنا، قدَّم الأستاذ فتحي كليب، عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ومسؤول العلاقات الدولية، شهادة في ذكرى استشهاد «الرفيق فيليب»: في استذكار الشهادة والشهداء يتجدد الأمل الذي رسمته دماء شهداء آمنوا بقضية وقدموا دماءهم من أجل انتصارها.. وفاؤنا للشهداء في استذكار مآثرهم وعظمة ما قدموا من تضحيات ليس الهدف منه أن نعلي من قدرهم فقط، فليس هناك ما يفيهم وعائلاتهم حقهم، بل لنستلهم منهم ومما صنعوا القدرة على الصمود ومواصلة النضال، وعائلاتهم الذين يعتزون بتلك التضحيات، لهم أن يفخروا أيضاً بأن إرث أبنائهم سيبقى حاضراً معنا ومع كل الأحرار يشكل لنا البوصلة الحقيقية نحو الهدف الذي قدموا أرواحهم فداء له. إن كان لكل شهيد قصة ورواية، فجميعهم توافقوا على هدف واحد هو هذه الـ «فلسطين» التي ما زالت تشكل بالنسبة لكثيرين عنواناً وقضية تستحق أن تقدم في سبيلها الدماء. وكل رواية رسمت مساراً ما زال مضيئاً متلألئاً أمام الآلاف من الأحرار.. من بين هؤلاء الذين تركوا بصمة وصنعوا مأثرة نسر كويتي أصيل حلَّق عالياً في سماء فلسطين وأبى إلّا أن ينال شرف الشهادة فوق أرض ما زالت قبلة الأحرار، وهو الشهيد فوزي عبد الرسول المجادي الذي حمل فلسطين في دمه وقدم قصة حقيقية لمعنى أن تكون حراً. ما الذي يدفع بشاب في مقتبل عمره، يقطع مسافات طويلة ويأتي مناضلاً متطوعاً في صفوف الثورة الفلسطينية؟ يترك متعة الشباب ليعيش حياة الثورة والنضال في القواعد العسكرية، وليبدأ حياته شهيداً من شهداء الدفاع عن فلسطين وحرية شعبها.. لم يكن قراره بأن يكون واحداً من أبناء فلسطين عاطفياً أو خياراً غلب عليه

حماس الشباب، بل انه بوعيه وإنسانيته وعروبته ووطنيته قرر أن يقرن القول فعلاً وطنياً وثورياً، وليؤكد بدمه أن فلسطين، وإن تغير الزمن وتلونت رجاله، تبقى القضية المركزية للشعوب العربية وللشعوب الحرة، بل قضية الإنسانية.. هو الشاب القادم من أرض الكويت العزيزة، التي لعبت وما زالت تلعب دوراً متقدماً ونموذجياً في معنى الانتماء لفلسطين، كقضية أرض وشعب. هو ابن العشرينات الذي سكنه هم كبير منذ صغره، هم ومعاناة شعب شقيق احتلت أرضه وهجر في مختلف بقاع الكون. وينقل عنه من عايشه منذ لحظة التحاقه بـ «القوات المسلحة الثورية» الجناح العسكري للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين انه كان واعياً ومدركاً لكل خطوة بدليل انه عاد إلى الكويت لكنه لم يجد نفسه إلّا بين رفاقه من الشهداء والأحياء.. وهذا ما تؤكده على كل حال كلماته الأخيرة لرفاقه: «سوف تعتزون بي، وسأرفع رأسكم ورأس العرب عالياً..» لم تثنه عوائق وتعقيدات عن ترجمة حلمه حقيقة وبأن يكون أحد المساهمين بتحرير فلسطين، فقد جاء إلى لبنان في بداية الثمانينات ومكث فترة قصيرة، إلّا أن وزارة الخارجية وبالتنسيق مع الجبهة الديمقراطية تمكنت من تحديد مكانه وأعادته إلى الكويت لفترة قصيرة، لكنه عاد إلى لبنان مرة أخرى مصراً على تحقيق أمنيته.. ليكون شاهداً وشهيداً على أن فلسطين هي جزء من الوجدان العربي والإنساني، وكان يردد بأن هذه العبارات ستبقى مجرد شعارات جميلة ومطلوبة، لكنها لن تجد معناها وصداها الحقيقي إلّا حين تترجم على أرض الواقع، حين يختلط الدم الفلسطيني بدم العربي وبدم أحرار العالم، وحين تروى أرض فلسطين من دم أبنائها القادمين من كل أصقاع الأرض.. وهذا ما يفسر حقيقة أن في أرض فلسطين يتوحد الأحرار: فلسطينيون، كويتيون، تونسيون، لبنانيون، مغاربة، جزائريون وليبيون، يمنيون وسوريون، مصريون، وعراقيون أفارقة وآسيويون وأمميون.. دماء توحدت وامتزجت لتروي هذه الأرض التي ما زالت تنبض حرة بقوة وقداسة الدم الذي رواها.. في لفتة وفاء من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تجاه شهدائها، ومن أجل حفظ تضحياتهم ومآثرهم، قامت الجبهة بعمل جبار تمثل في تأريخ مسيرة الشهداء في عمل بحثي وأرشيفي تحت عنوان «عاشوا من أجل فلسطين»، هو الأول من نوعه على مستوى الحركات الثورية ليس الفلسطينية فحسب بل والعربية، ما يؤكد حقيقة أن الجبهة الديمقراطية التي لم تتجاهل الشهداء يوماً، تفي الشهداء وذويهم حقهم من خلال تأريخ مسيرتهم الظافرة، وليتأكد أن الشهداء وإن غادرونا جسداً، لكنهم بيننا في مبادئهم وتضحياتهم، وعائلات الشهداء الذين يعتزون بتضحيات من قدم حياته دفاعاً عن قضية فلسطين، لهم أن يفخروا أيضاً بأن إرثهم النضالي سيبقى حاضراً معنا يشكّل لنا البوصلة الحقيقية نحو الهدف الذي قدموا أرواحهم فداء له.

٤ حزيران - يونيو ١٩٨٩ نقطة الصفر

في الرابع من حزيران- يونيو من العام ١٩٨٩، تحددت نقطة الصفر ليبلغ الرفيق فوزي مع

اثنين من رفاقه باللمسات الأخيرة لتنفيذ عملية ضد العدو الصهيوني ضمن مجموعة **«شهداء نابلس»**، التي قامت بتنفيذ عملية اقتحام مستوطنة «مسكاف عام» على الشريط الحدودي المحتل شمال فلسطين، حيث أسفرت العملية عن مقتل وإصابة عدد من جنود جيش الاحتلال واستشهاد فوزي ورفاقه في العملية واحتجاز العدو لجثمانيهم في مقابر الأرقام. بعد أقل من عشرين عاماً، وفي ٢٣ تموز ٢٠٠٨، بعد إتمام صفقة الرضوان لتبادل الأسرى وجثامين الشهداء بين المقاومة الإسلامية في لبنان والاحتلال، عاد رفات الشهيد من فلسطين إلى لبنان ومنها إلى الكويت التي أقامت له استقبالاً شعبياً وجنازة حاشدة واستقبلته عائلته بالورود في مطار الكويت، لتبقى حكاية الشهيد فوزي المجادي شاهداً على بطولات مقاتلي الجبهة الديمقراطية وشاهداً على حكاية المقاتلين العرب من المحيط إلى الخليج فداءً لفلسطين وعروبتها وحكاية لصقر عربي حر حلق من صحراء الكويت إلى لبنان ليستشهد في فلسطين مقاتلاً ملوحاً بسلاحه وشارة النصر. ونختتم باقتباس نص قاله نائب أمين عام الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين علي فيصل لحظة استلام رفات الشهيد: «الرفيق الشهيد فوزي المجادي هو نموذج للفداء العربي ونموذج على النصرة العربية لشعب فلسطين وأيضاً نموذج عن عمق الأصالة العربية في الشعب الكويتي الذي ينتمي إليه الشهيد.. وكم كان بودنا أن تبقى أرض فلسطين محتضنة لرفات الشهيد، لكن رغم ذلك، سنحتفظ له بأسمى آيات التقدير وللشعب الكويتي ولكل الشعوب العربية التي وقفت واستشهد أبناؤها في الدفاع عن شعب فلسطين وقضية فلسطين».

عملية «شهداء نابلس» البطولية لأبطال القوات المسلحة الثورية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
رد حازم على جرائم جيش الاحتلال ومستوطنيه

أصدرت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بيانات عن مجرى عملية «شهداء نابلس» البطولية.
وفي ما يلي نص البيان الأخير ونبذة عن الشهداء الأبطال.
بعد أن تمكن رفاقنا أبطال عملية «شهداء نابلس» من اقتحام مستعمرة «مسكاف عام» وإبادة مجموعة الحماية الإسرائيلية بكاملها، تمكنوا من اعتقال جنديين إسرائيليين في الثكنة داخل المستعمرة وطالبوا بتأمين خروجهم سالمين مقابل اطلاقهم لكن قيادة العدو الإسرائيلي رفضت الاستجابة وأرسلت التعزيزات بواسطة أربع طائرات هليكوبتر وقامت بشن هجوم على مواقع الفدائيين مما أدى إلى مصرع الجنديين ودمار المكان وسقط نتيجة الاشتباك رفاقنا الأبطال شهداء على طريق بناء دولتنا المستقلة العتيدة وقد اعترف الناطق باسم جيش الاحتلال بالعملية مدعياً سقوط قتيل وجريحين إسرائيليين فقط.

أبطال عملية «شهداء نابلس»

وقد وزعت القيادة العسكرية القوات المسلحة الثورية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين نبذة عن حياة أبطال العملية وهم:

حسين أحمد حسين

الاسم الحركي: أبو سامر

مكان الولادة: البطيحة

تاريخ الميلاد: ١٩٦٦

البلد الأصلي: صفد/ فلسطين

تاريخ الانضمام إلى الجبهة: ١٩٨٤

رياض عبد العزيز السروجي

الاسم الحركي: جمال

مكان الولادة: مزيريب/ درعا/ سوريا

البلد الأصلي: الناصرة فلسطين

تاريخ الميلاد: ١٩٦٨

تاريخ الانضمام للجبهة: ١٩٨٥

فوزي عبد الرسول ابراهيم المجادي

الاسم الحركي: فيليب

مكان الميلاد: الكويت

تاريخ الميلاد: ١٩٦٥

البلد الأصلي: الكويت

تاريخ الانضمام للجبهة: ١٩٨١

تقدُّم
TAQADOOM

76عاماً على النكبة

فلسطين بوصلتنا

بقلم: أبو علي حسن
كاتب فلسطيني

الطريق الوعر إلى رفح

حين الحديث عن مدينة رفح، فنحن نتحدث عن عدوان طال كل مدن قطاع غزة، ولم تسلم من العدوان أية مدينة بما فيها رفح منذ اليوم الأول للعدوان، فالعدوان كان ولا يزال شاملاً يستهدف الشعب الفلسطيني أولاً، ومحاولة تهجيره إلى خارج قطاعه الحبيب، ومن ثم تدمير كل بناه التحتية ومرافقه ومؤسساته الحياتية الاقتصادية والاجتماعية، ولما كانت مدينة رفح هي المعبر الوحيد لقطاع غزة إلى العالم عبر دولة مصر، فقد عوّل الكيان الصهيوني على إمكانية ترحيل أهالي قطاع غزة إلى سيناء عبر معبر رفح، وذلك لتفريغ المكان من أهله، والبدء في إلحاق غزة إلى الكيان بحكم عسكري مباشر، بيد أن هذه المحاولة قد فشلت في ضوء عاملين، أولهما أن الشعب الفلسطيني رفض التهجير قسراً أو طوعاً، وصمم على البقاء في مدنه وقراه، وتعلم من درس التهجير عام ١٩٤٨، الذي ساندته بعض الأنظمة في ذلك الوقت ووعدت الشعب الفلسطيني بإرجاعه خلال فترة زمنية محددة، أما العامل الثاني، فقد أخذت مصر موقفاً واضحاً بعدم قبولها عملية التهجير إلى سيناء لخشيتها من أن تتحول المقاومة ضد الكيان عبر غزة، إلى مقاومة عبر سيناء مما يعرض اتفاقية كامب ديفيد إلى الخطر وزوال مرحلة السلام...!! والشعب المقاوم في غزة، هو ذاته الشعب المقاوم في رفح، والكيان أرجأ اقتحامه لمدينة رفح، إلى حين أن ينتهي من

مهمته في شمال قطاع غزة بعد أن أفرغه من سكانه وهجرهم إلى رفح، لكنه أراد أن يمرحل عدوانه من مدينة إلى مدينة حتى يسهل عليه اقتحامها، وكان يعتقد أن رفح ستكون هدفه الأخير بعد أن يهاجر أهلها ولاجئوها طوعاً أو قسراً، فيسهل عليه اقتحامها، ويعلن نصره النهائي، غير أن كل أوهامه ومخططاته قد فشلت ليس في رفح أو غزة فحسب، إنما في كل قطاع غزة طولها وعرضها، مما جعله يتكبد خسائر جمة في جنوده وآلياته ومعنوياته أكثر مما كان يتخيل أو يخطط...

عدم تحقيق أهداف العدوان الصهيوني على قطاع غزة

وحين استفاق الكيان من أوهامه أراد أن يبحث عن صورة ولو جزئية للنصر أمام المستوطنين، حيث لم يستطع أن يحقق ما أعلنه في اليوم الأول من أهدافه، فلا هو استطاع أن يسترد أسراه، ولا هو استطاع أن يقضي على المقاومة، ولا هو قادر أن يضع صيغة أو تصورا لما بعد اليوم التالي أي بعد انتهاء الحرب، ما هي صيغة الوضع في غزة بعد انتهاء الحرب...؟!

هذه الأهداف الثلاثة لم تتحقق، وأصبح الخبراء العسكريون والساسة والصحافة والكتاب الإسرائيليون يتحدثون عن الهزيمة وليس النصر، وهنا أراد نتنياهو أن يبحث عن صيغة أو صورة جديدة من النصر ليهديها لمن يخالفوه الرأي، وذلك بالعمل على اقتحام رفح تحت شعار تفكيك وإنهاء المقاومة، لكنه يواجه جملة من الصعوبات، أولها أن مصر تعارض اقتحام رفح، وتعارض استلام الجيش الإسرائيلي معبر رفح، حتى لا يتكرّس أن المعبر هو معبر مصري – إسرائيلي، وبالتالي تصبح مصر متهمة بأي تقصير في توصيل المساعدات الإنسانية، في حين أن «إسرائيل» هي المعرقلة، وحين أقدمت «إسرائيل» على احتلال محور فيلادلفيا/ محور صلاح الدين، أدركت مصر خطورة هذا الوضع، وصعّدت من انتقاداتها إلى الكيان إلى حد أنها انضمت مؤخراً وبعد طول غياب إلى دعوى جنوب إفريقيا إلى محكمة العدل الدولية، وهنا خشي فريق من الإسرائيليين من تدهور العلاقات المصرية – الإسرائيلية، ووصولها إلى إلغاء كامب ديفيد ويعتبرون أن إخراج مصر من عملية الصراع مع الكيان أهم استراتيجياً من اقتحام رفح... بيد أن نتنياهو مدفوعاً بمصالحه الشخصية وأوهامه وبأنه ملك «إسرائيل» يريد أن يستكمل حربه باقتحام رفح ليثبت أنه الوحيد الحريص على تفوق «إسرائيل»... أما العامل الثاني في صعوبات رفح، فهو الموقف الأميركي من اقتحام رفح، وهو الموقف المنافق، فمن جهة فإن أميركا تريد إنهاء حركة حماس في رفح، ولكنها تشترط خطة عملية آخذة في الاعتبار حياة المدنيين...!! أي أنها مع استمرار الحرب، لكنها تدّعي حرصها على المدنيين الذين يقتلون بقنابلها وصواريخها ودبلوماسيتها، ومرات الفيتو في مجلس الأمن، فأميركا لم تستطع أن تبرر مواقفها ونفاقها أمام العالم، وأمام شعبها وطلاب جامعاتها فتلجأ إلى المناورات السياسية والعبارات الملغومة...!! هذا الموقف المصري،

لمتابعة القراءة اضغط هنا

بقلم: د. كريمة الحفناوي

كاتبة من مصر وقيادية بالحزب الاشتراكي المصري

اجتياح رفح
اعتداء على السيادة المصرية

رفح العصية على الاجتياح الصهيوني الذي تم في السادس من مايو ٢٠٢٤، تدق مسماراً كبيراً في نعش الكيان المحتل، وسيكون طوفان الأقصى بداية زوال هذا الكيان «النبت الشيطاني» في غير أرضه، بل وسيُغرِق الطوفان في الغد القريب الأنظمة المتواطئة مع الكيان في جرائمه وعلى رأسها الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني وتدمير كل مقومات الحياة في قطاع غزة، من أجل تنفيذ خطة التهجير القسري لسكان غزة. ووفقاً للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني في ١٥ مايو ٢٠٢٤، المباني المتضررة كلياً وجزئياً منذ السابع من أكتوبر، تدمير ٣٨٠ ألف وحدة سكنية، و٥٧ مستشفى، و١٨١ مقراً حكومياً، و٥٦٧ مسجداً وكنيسة.

ولن يتسبب الطوفان في التغيير في منطقتنا فقط ولكن ستكون من نتائجه بداية زلزال يهز عرش الولايات المتحدة الأميركية، القطب الواحد الذي يهيمن على دول العالم وينهب ثرواتها ويقف بكل قوة مالية وعسكرية بجانب الكيان الصهيوني، لمنعه من السقوط أمام المقاومة الفلسطينية، التي تصاعدت في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى الآن، في أكبر ضربة للعدو

وهي عملية طوفان الأقصى. كما سيتسبب الطوفان، في تغيير العالم وسيمتد إلى الدول الأوروبية (حلفاء أميركا) المساندة للكيان المجرم، إن خريطة العالم بعد السابع من أكتوبر لن تكون كما قبله.

التحضير الصهيوني لعملية عسكرية على طول الحدود مع مصر

كشفت مصادر سياسية وإعلامية «إسرائيلية»، السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤، أن «إسرائيل» أبلغت مصر أنها تنوي دخول منطقة رفح ومحور صلاح الدين «فيلادلفيا» جنوبي غزة، لكنها لن تبقى في المنطقة بشكل دائم. ولقد كشفت مصادر سياسية وإعلامية «إسرائيلية»، السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤، أن «إسرائيل» أبلغت مصر أنها تنوي دخول منطقة رفح ومحور صلاح الدين «فيلادلفيا» جنوبي غزة، لكنها لن تبقى في المنطقة بشكل دائم. ولقد أثار الأمر غضب الجانب المصري الذي واجه الطلب بمعارضة شديدة، لتبدأ محادثات بين الطرفين حاول خلالها الجانب «الإسرائيلي» تهدئة مصر، وتعهد ألا يقوم على الإطلاق بتهجير الفلسطينيين تجاه الأراضي المصرية، وشدد الجانب «الإسرائيلي» على أن القوات لن تبقى في المنطقة لوقت طويل. وقد تم الاتفاق على لقاءات بين الطرفين للحديث عن الموضوع.

واستمر الكيان الاستيطاني المحتل في التحضير لعملية عسكرية داخل غزة على طول الحدود مع مصر، وتردد أن هذه العملية تشمل إبعاد الفلسطينيين وتمركز قوات «إسرائيلية» على امتداد الزاوية الجنوبية الشرقية لغزة المتاخمة لكل من الكيان ومصر باتجاه البحر المتوسط على بعد ١٢ كيلو متر إلى الشمال الغربي.

وبالرغم من الرفض الرسمي والشعبي المصري، لم يتورع الكيان عن بداية الاجتياح وسط أصوات معظم دول العالم الرافضة لاجتياح منطقة رفح، التي تعج بوجود مليون وأربعمائة ألف فلسطيني وفلسطينية، نزحوا من شمال غزة إلى جنوبها، إثر الضربات المتوحشة التي قتلت وأصابت عشرات الآلاف من الشعب الفلسطيني، ودمرت البنية التحتية للقطاع وقامت بمحاصرته ومنع وصول الغذاء والدواء والوقود إليه في أكبر جريمة إبادة جماعية وتهجير في تاريخنا المعاصر. بالرغم من كل الجرائم التي ارتكبها العدو الصهيوني، في حربه على الشعب الفلسطيني منذ ثمانية أشهر، لم يحقق أي انتصار، بل فشل فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافه، التي أعلنها في بداية الاجتياح البري لغزة بعد طوفان الأقصى، وهي اجتثاث «حركة حماس» وباقي الفصائل المسلحة، واستعادة الأسرى الإسرائيليين (مدنيين وعسكريين)، وتنصيب حكومة موالية للاحتلال، أو تولي الصهاينة حكم غزة.

ويعلن نتنياهو رئيس حكومة العدو الصهيوني، بأنه بتكثيف العملية العسكرية في رفح، سيتمكن من حسم المعركة، وتدمير بقية الأنفاق والقضاء على الكتائب المسلحة للمقاومة الفلسطينية.

وهنا ينبغي أن نذكر ما تم عام ٢٠٠٥، عندما قررت حكومة أرييل شارون، الانسحاب من غزة إثر ضربات المقاومة المسلحة، والتي كانت تمتلك في هذا الوقت أسلحة خفيفة وبدائية

لمتابعة القراءة اضغط هنا

بقلم: د. عصام الخواجا

نائب الأمين العام لحزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني

غزة تُحَرِرُ العالم

سبعة أشهر هزت العالم

ساعات الصباح الأولى يوم السابع من أكتوبر المجيد، هزت الكيان الصهيوني وأفقدته توازنه، لولا أن هَبت الإدارة الأميركية ورأس هرمها السياسي والعسكري لنجدته، خشية عليه من خطر وجودي، لم يعش كابوساً مثله منذ ٧٦ عاماً.

أما السبعة أشهر ونيف التالية، من العدوان والإبادة الجماعية الصهيو-أميركية المستمرة بحق الشعب الفلسطيني، فقد هزت العالم، وأيقظت فيه صحوة عارمة بحقيقة المشروع الصهيوني ودولته «إسرائيل»، وحفرت وعياً عميقاً، بحقيقة الصراع وجذوره، وكَنَست رُكام التضليل، وزيف الرواية الصهيونية-الاستعمارية، التي مهدت وروجت منذ قرنٍ من الزمن لآخر استعمار احتلالي استيطاني في التاريخ.

بالمقابل، نحن شهودٌ على أداءٍ أسطوري لمقاومة فلسطينية، قادرة، راسخة، متجذرة، مبدعة، وشجاعة، فوق وتحت بقعة ميكروسكوبية، بمقياس المساحة والجغرافية، وعملاقة، بمقياس الفعل والتأثير والقيمة، اسمها غزة، عاشت وتعيش تحت حصارٍ صهيوني حديدي منذ أكثر من ١٧ عاماً، لكن، بفارق توفرها على حاضنة شعبية استثنائية، شكلت الحبل السُرِي لضمان نمـــو ونضوج وحماية هـذه المقاومـة،

ولم تبخل بتقديم خيرة الخيرة من أبنائها، مقاتلين، وكوادر، وخبراء، وقادة أثبتوا عظمة الشعب الذي أنجبهم وعطاء الأرض التي احتضنتهم.

طوفان الجامعات

نعيش حراكاً شعبياً أممياً ممتداً في القارات الخمس، سار بخطٍ تصاعدي، وتراكم كمي، على مدى الشهور السبع الأولى من طوفان الأقصى، ما أنتج طفرةً وتحولاً نوعياً، بانطلاق شرارة انتفاضة طلاب الجامعات، من جامعة كولومبيا، إحدى أهم الجامعات الأميركية، ما يعكس تحولاً في وعي شريحة مهمة من النخب المؤثرة، التي اختارت تقدمها الصفوف في الدفاع عن قيمٍ، تغنت بها سلطة رأس المال المهيمنة في بلدانها زوراً، واستخدمتها كأدوات شعاراتية لاختراق مجتمعات «ما بعد الاستعمار»، ومن بينها نحن، لتكريس تبعيتنا لها، وقطع الطريق على انبعاثنا و»شعوب الجنوب» فكرياً وحضارياً. ورأينا مراراً، تكرار انتهاك هذه «القيم» من قبل القوى الامبريالية-الاستعمارية-الليبرالية-الجديدة، عبر عدوانها، واحتلالها، وتحريكها وتغذيتها للحروب المدمرة، كما فعلت في العراق وسوريا وليبيا واليمن وأفغانستان.

إن ما حدث داخل حرم الجامعات، الأميركية والأوروبية تحديداً، أظهر وبشكل فج، ازدواجية المعايير والكيل بمكيال النفوذ الصهيوني، والمغالاة في قمع اعتصامات الطلبة في حرم جامعاتهم، في اعتداء صارخ وفاضح على «حق التعبير» و«الاختلاف» و«حصانة الحرم الجامعي»، معيدة إنتاج صورة القمع لذات الأسباب، من قبل الأنظمة الديكتاتورية والمتسلطة في دول الأطراف والجنوب التي تسير في الفلك الأميركي.

إن شريحة من جيل قادة المستقبل في المجتمع الأميركي، أظهرت تحولاً جذرياً في فهمها واصطفافها إلى جانب فلسطين وعدالة قضيتها، دون مبالغة، ودون تجاوز للموضوعية، ودون الوقوع في فرط التفاؤل، لكنه بحق يشكل محطة انطلاق لتغيير قادم في قلب «الوحش الإمبريالي»، وهو ما يفسر ارتباك منطق وصفوف النخب التي حكمت وما زالت تحكم في مختلف دول الغرب الاستعماري، وبشكل رئيسي، الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا ومن في خندقهم، والخاضعة لنفوذ اللوبي الصهيوني المالي – الاقتصادي والأيديولوجي. لقد نزع سلوك هذه الأنظمة، السياسي والقمعي داخلياً، والمتواطئ والمتعاون والشريك مع الاحتلال خارجياً، كل ما كانت تتدثر به من رواية صبغ مصطلح معاداة السامية الملفقة على كل من كان ينطق بالحق الفلسطيني ويدين الاستعمار الاحتلالي الاستيطاني العنصري الصهيوني، فمن بين أهم المشاركين في دعم الحق الفلسطيني في الجامعات الأميركية والأوروبية قطاعات واسعة من اليهود والمنظمات اليهودية المعادين للصهيونية، والرافضين لوجود دولة «إسرائيل» على أرض فلسطين التاريخية.

لمتابعة القراءة اضغط هنا

بقلم: وليد الياس
صحافي متخصص في الشؤون اليونانية وقضايا الشرق الأوسط

التظاهرات المؤيدة لفلسطين في الدول الأوروبية ذكرتنا بالقضية الفلسطينية

عقب «طوفان الأقصى» الذي يعدّ أكبر عملية شنتها المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة على «إسرائيل» فجر يوم السبت ٧ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٣، وشملت هجوماً برياً وبحرياً وجوياً وتسللاً للمقاومين إلى عدة مستوطنات في غلاف غزة، والذي شنّه الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)،استيقظت الغالبية العظمى من الرأي العام والإعلام وحكومات الاتحاد الأوروبي في حالة صدمة غير مسبوقة وإدانة منقطعة النظير لما سمّي بـ «وحشية حركة حماس الإرهابية»، فأطلق العنان لحملة إعلامية ممنهجة وتعاظمت الدعاية الإسرائيلية المضللة ضد فلسطين وحقوق الشعب الفلسطيني الشرعية في بناء دولته المستقلّة، وجرت شيطنة حركة حماس باعتبارها حركة إسلامية أصولية متطرفة يقودها أصحاب العمائم، فكان السؤال المتكرر على شفة كلّ إعلامي غربي هل تدين إرهاب حركة حماس؟»، ووصل الأمر إلى الانتقاد

العلني لكلّ الأحزاب الشيوعية واليسارية في أوروبا التي كان لها رأي مختلف، واعتبرت أن ما قمت به المقاومة كان نتيجة الحصار «الإسرائيلي» لغزة منذ سنوات، وعمل مقاوم ضد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين.

موقف الحكومات الأوروبية تجاه «حق إسرائيل بالدفاع عن نفسها»

انحازت دول الاتحاد الأوروبي بشكل مطلق لدولة الاحتلال «الإسرائيلي» عبر التأكيد على ما سمّته بـ «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وفقاً للقانون الدولي»، ودعوة حماس إلى «الإفراج الفوري عن جميع الرهائن دون شروط»، لكن ازاء تعاظم جرائم الإبادة الجماعية التي يرتكبها «رئيس الوزراء الإسرائيلي» بنيامين نتانياهو بحق الفلسطينيين وارتفاع عدد القتلى إلى أكثر من ٣٥٠٠٠ من بينهم حوالي ١٥٠٠٠ طفل، شهدت بعض الدول الأوروبية تغييراً ملحوظاً نتيجة تغير الرأي العام الأوروبي وزيادة المظاهرات الطلابية والجماهيرية التي تنظمها الأحزاب الشيوعية واليسارية والنقابات الأوروبية. حيث برز تباين في الموقف الأوروبي وكانت آخر تجلياته اعتراف كلّ من إسبانيا والنرويج وايرلندا بتاريخ ٢٢ حزيران/ يونيو الجاري، بدولة فلسطين، فيما يتوقع أن تنضم دول أخرى إلى هذا المسار خلال الأسابيع المقبلة.

وبالرغم من أن دول الاتحاد الأوروبي لا تزال ملتزمة بالسلام الدائم على أساس حلّ الدولتين، وضرورة التعامل مع السلطة الفلسطينية التي وصفوها «بالشرعية والشركاء الإقليميين والدوليين الذين يمكن أن يكون لهم دور إيجابي في منع التصعيد»، فإن أوروبا هي نفسها «على الجانب الخطأ من التاريخ»، حيث دعمها المطلق «لإسرائيل» وحرصها على عدم استخدام أي لغة أو مصطلحات قد تمسّ بدولة الاحتلال، وسعيها منذ بداية المجزرة الإسرائيلية في غزة إلى غضّ الطرف عن جرائم الإبادة الجماعية، وتبرير الوحشية الإسرائيلية بحقّ أهل غزة والضفة الغربية بتعميم مقولة «في كل حرب يسقط ضحايا».

وبتاريخ ٢٧-٥-٢٠٢٤، أعلن معهد جنيف الدولي لأبحاث السلام (GIPRI) تقديمه شكوى إلى الجنائية الدولية ضد رئيسة المفوضية الأوروبية بتهمة «التواطؤ بجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية ترتكبها إسرائيل بحق الفلسطينيين».

وشدد بيان المعهد على أن «الشكوى تطالب المحكمة الجنائية الدولية بإجراء تحقيق ضد فون دير لاين»، مشيراً إلى أن «هناك أسباب معقولة للاعتقاد بأن دعم فون دير لاين، غير المشروط لإسرائيل (العسكري والاقتصادي والدبلوماسي والسياسي) مكّنها من ارتكاب جرائم الحرب والإبادة الجماعية المستمرة في غزة».

وأكد أن «فون دير لاين، بصفتها رئيس المفوضية كان لها دور فعال في الوصول للدعم العسكري الذي يقدمه الاتحاد الأوروبي للجيش الإسرائيلي»

لمتابعة القراءة اضغط هنا

بقلم: د. طنوس شلهوب

أستاذ جامعي مقيم في كندا

كندا من الداخل

تُعتبر كندا من أكثر البلدان استقبالاً للمهاجرين في العالم، والوافدين الجدد بمعظمهم من بلدان العالم الثالث وبلدان أوروبا الشرقية تركوا أوطانهم الأم تحت ضغط الأزمات الاقتصادية وصعوبات الحياة وانعدام وجود أمل بمستقبل مضمون لهم ولأفراد عائلاتهم. إن التفاوت الكبير في مستويات الحياة بين بلدان العالمين "الأول" و"الثالث" والناجم عن الهيمنة الإمبريالية هو ما يدفع بملايين الناس لترك موطنهم الأصلي والبحث عن بدائل تُخرجهم من الفقر وانسداد الأفق. والصورة الزاهية التي ترسمها الدعاية الغربية عن نوعية الحياة في بلدان العالم الأول لا تلبث أن تبدأ بالتلاشي عند الاصطدام بالواقع الجديد. وقسم من المهاجرين الجدد يصطدم بالصعوبات اللغوية، خصوصاً بالنسبة لمن قارب منتصف العمر ولا يتقن بالأساس غير لغته الأم. وفي مقاطعة كيبيك الكندية ينبغي اجتياز امتحان اللغة الفرنسية عند التقدم للحصول على الجنسية.

والكيبيكيون هم المستعمرون الفرنسيون الأوائل الذين استعمروا البلاد على حساب السكان الأصليين. وكان الاستعمار البريطاني قد استولى على الجزء الأكبر من الأراضي الكندية وألحق الهزيمة بالفرنسيين وأخضع كل الأراضي

لحكم الملك البريطاني. وكان الكيبيكيون قد سعوا للانفصال عن كندا في محاولتين متتاليتين (١٩٨٠ و١٩٩٥)، إلّا أن هاتين المحاولتين لم تنجحا في الاستفتاء العام الذي نُظم في مقاطعة كيبيك حيث حصل معارضو الانفصال في المرة الثانية على تفوق بنسبة نصف بالمئة. ورداً على احتفالات المقاطعات الإنكليزية بعيد الملكة، فإن كيبيك تحتفل في اليوم نفسه بعيد الوطنيين (الباتريوت) تكريماً لذكرى الذين انتفضوا بوجه الإنكليز في العام ١٨٣٧ وهزمهم الجيش الإنكليزي خلال الانتفاضات الشعبية التي شهدتها المناطق الناطقة بالفرنسية وكانت تطالب بالاعتراف بالهوية الوطنية وبالحرية السياسية وبإقامة حكومة ديمقراطية، وتعرض قادتهم للشنق والسجن والترحيل.

وسياسة الهجرة في كيبيك هي جزء من سياسة الهجرة الفيديرالية، والتي تطبق برامج متنوعة لاستقبال المهاجرين في بلد يتميز بكثافة سكانية هي الأدنى في العالم (٣,٣ شخص للكيلومتر المربع، في حين أن معدل الكثافة السكانية للكرة الأرضية هو ١٤,٧ شخص لكل كيلومتر مربع)، في حين أن الاقتصاد الكندي يحتل المركز التاسع بين أكبر الاقتصادات العالمية، وتمتلك كندا احتياطيا هائلا من الموارد الطبيعية. وتسعى الرأسمالية الكندية لردم الهوة بين الكثافة السكانية المتدنية والاحتياجات المتزايدة للقوى المنتجة واليد العاملة من خلال برامج الهجرة وفي أساسها استقدام اليد العاملة المتخصصة، وإلى جانبها إطلاق برامج مسهلة لاستقبال اللاجئين من مناطق النزاعات كما حدث في السنوات الأخيرة (سوريا، وأفغانستان وأوكرانيا)،

هذه النزاعات المسلحة التي يعود لمراكز الإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية الدور الأساس في إشعالها وتغذيتها والسياسة الخارجية الكندية تتطابق مع الأهداف الإمبريالية.

إنَّ التطور التقني المتسارع لبلدان المراكز الإمبريالية انعكس بشكل مباشر على صعيد العلاقات الاجتماعية، وعمّق من الفردانية على حساب العائلة والأقارب والأصدقاء، وعزّز من الجانب الاستهلاكي في أولويات الناس، وحظيت المؤسسات ذات الأنشطة غير المنتجة (المصارف، شركات التأمين، المراكز التجارية وإلخ) بمكانة خاصة في قمة الهرم البنيوي لرأس المال، وتحولت المصارف إلى اخطبوط يمسك بالاقتصاد اليومي للعائلات عبر بطاقات الائتمان المصرفية التي تسهّل الإنفاق مقابل فوائد عالية مكّنت المصارف من تحقيق ثروات خيالية على حساب كدح الناس وتعبهم. وتتشارك شركات التأمين مع المصارف في جني الأرباح الخيالية في ظل سياسات اقتصادية تسعى لتقليص دور القطاع العام والادخال التدريجي للقطاع الخاص في أنشطة تُعتبر حيوية في حياة الناس اليومية ولا يمكن تحويلها إلى سلعة بيد رأس المال تمكنه من توظيفها لجني المزيد من الفوائد والأرباح.

لمتابعة القراءة اضغط هنا

كريبسو ديالو
كاتب من مصر، مترجم وباحث في الشأن الأفريقي

أصداء الاستعمار الحديث والمخاطر المتأصلة في حكم وليام روتو لكينيا

اليوم كينيا والقارة الأفريقية بالكامل تنجرفان إلى دوامة حرب عالمية آخذة في الاتساع. وتعتبر واشنطن الموقع الجيوستراتيجي للقارة ومواردها المعدنية الهائلة أمراً حاسماً في صراعها مع روسيا وإيران والصين.

وليام روتو هو سادس رئيس دولة تتم دعوته لزيارة دولة من قبل الرئيس الأميركي جو بايدن منذ توليه منصبه. وكانت الزيارات الخمس الأخرى مرتبطة بمسارح الحرب المتدخلة فيها واشنطن في جميع أنحاء العالم. للمفارقة منذ وقت غير بعيد كانت تنظر واشنطن إلى روتو باعتباره مجرم حرب. ودعمت واشنطن الاتهامات التي وجهتها المحكمة الجنائية الدولية ضده بشأن تورطه في أعمال العنف التي أعقبت الانتخابات الكينية بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨. لعب روتو دوراً حاسماً في تخطيط وتنظيم أعمال العنف التي خلفت أكثر من ١٢٠٠ قتيل وأكثر من ٦٠٠,٠٠٠ نازح داخلياً. تم إسقاط القضية في النهاية مع اختفاء

الشهود وفقدت الولايات المتحدة اهتمامها بدعم محاكمة روتو بعد أن أصبح نائباً للرئيس. واليوم، بعد ما أصبح رئيس دولة منحت روتو سجادة حمراء لجعل كينيا الحليف العسكري الرئيسي لواشنطن في القارة الأفريقية. وتتزامن زيارته مع وصول ٢٠٠ ضابط شرطة كيني، الدفعة الأولى من ألف ضابط، إلى هايتي في إطار مهمة تمولها الولايات المتحدة على يد القوات الخاصة، المعروفة بوحشيتها في إرهاب سكان هايتي والتأكد من عدم تدفق اللاجئين إلى الولايات المتحدة وكندا وعدم زعزعة استقرار منطقة البحر الكاريبي.

مواجهة النفوذ الصيني

طبعاً القضية الرئيسية على جدول أعمال الزيارة مواجهة نفوذ الصين في القارة الأفريقية. ووفقاً للبيان الصحافي للبيت الأبيض، فإن «الزعماء سيناقشون سبل تعزيز تعاوننا في مجالات تشمل العلاقات بين الشعوب، والتجارة والاستثمار، والابتكار التكنولوجي، والمناخ والطاقة النظيفة، والصحة، والأمن». ستؤكد الزيارة شراكتنا الإستراتيجية مع كينيا وتعزز الرؤية التي حددتها قمة القادة الأميركيين الأفريقيين التي عقدت في ديسمبر ٢٠٢٢، بحضور ٤٩ رئيس حكومة أفريقية. كانت إشارة واضحة إلى أن واشنطن لن تسمح لنفوذ الصين بالنمو دون معارضة في أفريقيا. تنص استراتيجية إدارة بايدن الأميركية في أفريقيا على أن الصين تنظر إلى أفريقيا باعتبارها «ساحة مهمة لتحدي النظام الدولي القائم على القواعد، وتعزيز مصالحها التجارية والجيوسياسية الضيقة، وتقويض الشفافية والانفتاح، وإضعاف علاقات الولايات المتحدة مع الشعوب والحكومات الأفريقية». «النظام الدولي القائم على القواعد» هو النظام العالمي الذي أنشأته الإمبريالية الأميركية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، والذي تحدد فيه القواعد. إن توسع النفوذ الصيني في أفريقيا على مدى السنوات الـ ١٥ الماضية يهدد بشكل مباشر سيطرة الإمبريالية الأميركية والأوروبية على حصة الأسد من ثروات أفريقيا الطبيعية ويعطل قدرة واشنطن على تطويق الصين وخنقها اقتصادياً. وفي الوقت نفسه، بدأت الشركات والبنوك الغربية، الحريصة على نهب الموارد الاقتصادية الهائلة في أفريقيا وجماهيرها العاملة، تخسر الأرض لصالح الصين. في هذا الصراع، تمزقت الحكومات والمؤسسات السياسية الأفريقية بين علاقاتها العسكرية والسياسية مع واشنطن والمكاسب الاقتصادية من العلاقات الوثيقة مع بكين، التي تجاوزت استثماراتها استثمارات الولايات المتحدة.

وكينيا مثال واضح على هذه العملية. وكجزء من سياسة «النظر شرقاً»، تكثفت علاقات نيروبي مع الصين في ظل رئاستي مواي كيباكي (٢٠٠٢-٢٠١٣) وأوهورو كينياتا (٢٠١٣-٢٠٢٢)، ونمت التجارة بين الصين وكينيا أكثر من ثلاثين ضعفاً، من ١٠٦ ملايين دولار في عام ٢٠٠٠ إلى ٦,٥٥ مليار دولار في عام ٢٠٢٢. وتعد الصين الآن أكبر شريك تجاري لكينيا، حيث تمثل أكثر من ١٦٪ من إجمالي حجم التجارة السلعية، يليها

الاتحاد الأوروبي، والهند، والإمارات العربية المتحدة. وهبطت الولايات المتحدة إلى المركز الخامس، وبرزت الصين كبلد المصدر المفضل للسلع الإلكترونية والمنسوجات ومستحضرات التجميل وإكسسوارات المركبات والآلات، وهي مسؤولة عن مشاريع البنية التحتية الكبرى في البلاد بما في ذلك طريق «ثيكا» السريع الفائق الذي يسهل نقل المواد الخام والمنتجات النهائية بين نيروبي وثاني أكبر مدينة صناعية في البلاد «ثيكا»، وخط سكة حديد نيروبي- مومباسا الذي يربط نيروبي بالساحل، والمشاريع مثل محطة كيبيفو للنفط في ميناء مومباسا، وميناء لامو، وجسر ليواتوني العائم، وسد ثواك.

في أكتوبر الماضي، التقى روتو، على الرغم من خطابه المناهض للصين خلال الانتخابات الرئاسية في عام ٢٠٢٢، بالرئيس شي جين بينغ كجزء من زيارة دولة تستغرق ثلاثة أيام. وطلب روتو قروضاً بقيمة مليار دولار، إضافة إلى ديون كينيا البالغة ٦,٣ مليار دولار للصين، للمساعدة في استكمال مشاريع البنية التحتية. وفي الأسبوع الماضي من شهر مايو، حصلت كينيا على التزام من بنك إكسيم الصيني بتمويل خط السكة الحديد القياسي من نيروبي إلى الحدود الأوغندية. لسنوات، كانت الطبقة الحاكمة الكينية تأمل أن تتمكن من تحقيق التوازن بين القروض الصينية ومشاريع البنية التحتية والدعم السياسي والعسكري من واشنطن. وفي عام ٢٠٢٠، قال الرئيس كينياتا آنذاك في مؤتمر استضافه المجلس الأطلسي في واشنطن: «لا نريد أن نضطر إلى الاختيار، نريد العمل مع الجميع، ونعتقد أن هناك فرصة للجميع». لقد انتهت هذه الأيام. ومع وضع السياسة في القارة بأكملها على حد السكين، سيطالب الرئيس بايدن روتو بأن ينأى بنفسه عن الصين.

وقد شوهدت لمحة من التهديد الأساسي في ديسمبر الماضي عندما قدمت وزارة الخارجية الأميركية ادعاءً لا أساس له من الصحة مفاده أن بكين كانت تخطط لإقامة قواعد عسكرية في كينيا كجزء من سعيها لإنشاء شبكة لوجستية عسكرية عالمية لمواجهة الولايات المتحدة. وذكر أن «الصين تسعى إلى توسيع البنية التحتية اللوجستية والقواعد في الخارج للسماح لجيش التحرير الشعبي، الجناح المسلح للحزب، بإبراز القوة العسكرية والحفاظ عليها على مسافات أكبر». جاء ذلك بعد أسابيع فقط من زيارة وزير الدفاع الأميركي لويد أوستن لكينيا وعقد سلسلة من الاجتماعات مع مسؤولي الدفاع وروتو.

كينيا باعتبارها مرساة للإمبريالية الأميركية

أتت زيارة روتو في وقت يتضاءل فيه نفوذ واشنطن في جميع أنحاء أفريقيا. أغلب الدول الأفريقية دعمت الدعوة المرفوعة من قبل جنوب أفريقيا ضد الحليف التقليدي للولايات المتحدة، في الشرق الأوسط، «إسرائيل»، إلى محكمة العدل الدولية بسبب الإبادة الجماعية التي ترتكبها في غزة. وفي العام الماضي، شارك جيش جنوب أفريقيا في مناورات عسكرية مشتركة مع روسيا والصين على طول الساحل الشرقي لجنوب أفريقيا. اليوم تتجه إثيوبيا، الشريك الأمني المفضل السابق لواشنطن في القرن الأفريقي، بشكل متزايد نحو الصين،

وفي النيجر، طرد المجلس العسكري الجديد القوات الأميركية من البلاد، وهي واحدة من أكبر قواعد الطائرات الأميركية بدون طيار في أفريقيا. وفي تشاد، سحبت الولايات المتحدة قواتها العسكرية بعد أن طالبتهم البلاد بالمغادرة الشهر الماضي.

وتأمل واشنطن في تحويل كينيا، التي تتمتع بسجل حافل كبيدق للإمبريالية الأميركية والأوروبية في الحفاظ على قبضتها الاستراتيجية على شرق ووسط أفريقيا، إلى شريك عسكري استراتيجي ضد الصين وروسيا في القرن الأفريقي. على مدى الأشهر الـ ١٨ الماضية منذ وصول روتو إلى السلطة، زار كبار المسؤولين في واشنطن نيروبي، بما في ذلك رئيس وكالة المخابرات المركزية ويليام بيرنز، وقائد القيادة الأميركية في أفريقيا (أفريكوم) الجنرال مايكل لانجلي، ووزير الدفاع الأميركي لويد أوستن، والنواب المناهضين للصين. مثل السيناتور الأميركي كريس كونز والممثلة التجارية الأميركية كاثرين تاي.

وفي سبتمبر، وقع أوستن اتفاقاً دفاعياً مدته خمس سنوات مع نيروبي لتوفير التدريب بقيادة الولايات المتحدة لقوات الدفاع الكينية. وقال وزير الدفاع الكيني أدن باري دوالي: «في عالم متزايد التعقيد والترابط، تعد قدرتنا على العمل معاً بسلاسة أمراً بالغ الأهمية». وأضاف أن «هذا التعاون سيمكننا من الاستجابة بفعالية للتحديات الأمنية المتطورة باستمرار في منطقتنا».

ووقعت كينيا أيضاً على عملية «حارس الرخاء» التي تقودها الولايات المتحدة، وهي العملية العسكرية ضد الحوثيين في اليمن التي حاولت تعطيل الإمدادات للجيش الإسرائيلي، تضامنا مع الفلسطينيين. طبعاً روتو يؤيد العدوان الدموي ويدعم الإبادة الجماعية التي ترتكبها «إسرائيل» ضد الفلسطينيين في غزة. ومن المرجح أن تطلب الولايات المتحدة من روتو توسيع وجود قواتها في قاعدة كامب سيمبا في خليج ماندا، والتي تعد بمثابة مضيف للطائرات بدون طيار الأميركية وعمليات المراقبة لبسط سيطرتها عبر المحيط الهندي والقرن الأفريقي والبحر الأحمر، وخاصة على المحيط الهندي. مضيق باب المندب، وهو ممر حيوي لتأمين الطاقة العالمية. وقد لعبت القاعدة دوراً رئيسياً حيث قُتل آلاف الأشخاص الصوماليين الأبرياء في غارات الطائرات الأميركية بدون طيار بدلاً من استهداف حركة الشباب الإرهابية. ومن المرجح أيضاً أن تستخدم الولايات المتحدة الجيش الكيني في حروب بالوكالة في مختلف أنحاء أفريقيا. وقد اختبرت بالفعل جنود البلاد في حربها في الصومال، وفي شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية الغنية بالمعادن، وهي تستخدم الآن قوات الشرطة الخاصة الكينية التي دربتها الولايات المتحدة في هايتي.

روتو حريص على لعب دور البيدق في بلد يتفشى فيه سوء التغذية، نما الإنفاق الدفاعي بنسبة ٣٨٪ بين عامي ٢٠٢١ و٢٠٢٤، من ٩٢٥ مليون دولار إلى ١,٢ مليار دولار. وفي وقت سابق من هذا الشهر، أعلنت نيروبي أنها حصلت على نظام دفاع صاروخي عالي التقنية من نظام الإبادة الجماعية الإسرائيلي باستخدام قرض بقيمة

لمتابعة القراءة اضغط هنا

بقلم: يوسف شوقي
باحث من مصر ومهتم بعلم الاجتماع والاقتصاد السياسي

الصين ونظامها الاجتماعي: بين القوالب الميتة والرؤية الحية 2/2

التاريخ السياسي للصين في ضوء التراكم الاشتراكي

إن التراكم الاشتراكي في الصين هو إطار نظري ليس فقط للتاريخ الاقتصادي ولكن للتاريخ السياسي أيضاً؛ فنجده مُفسراً لكثير من الصراعات والأحداث السياسية في تلك الفترة.

كانت البداية قبل ١٩٤٩ وتحديداً في الثلاثينيات عندما هرب الحزب الشيوعي الصيني إلى الجنوب (شيانغشي) من بطش الكومنتانج بقيادة شيانج كاي شيك حيث أدى اتّباع الحزب لتوصيات الكومنترن التي نصت على تحالف الشيوعيين مع القوميين (الكومنتانج) لاستكمال الثورة البرجوازية الوطنية إلى اضعاف موقف الحزب الشيوعي وتعرضه للملاحقة عندما مات صن يات سين وانقلب القوميون عليهم بعد تولي شيانج كاي شيك القيادة.

إن هجوم الكومنتانج لم يتوقف بعد هروب الشيوعيين فاستكمل القوميون هجومهم مما أجبر الحزب الشيوعي على الهروب غرباً وبدأت المسيرة الطويلة وكانت تلك اللحظة فارقة في تاريخ الحزب حيث بزغ نجم ماو تسي تونغ وبدأت المراجعات العملية والنظرية لسياسات الحزب السابقة وأخطائه التي أدت إلى محاصرة الحزب في الجنوب وأيضاً اكتسب الحزب خبرة جديدة من خلال التعامل مع الفلاحين والتفاعل

معهم.

إن الخط الماوي في الحزب قد اكتسب زخماً كبيراً أثناء المسيرة الطويلة وأحدث الحزب بالفعل قطيعة مع الماضي بكل نظرياته وممارساته ورؤيته وإستراتيجيته الخاطئة. وبعد مرور سنة من التحرك في سهول وجبال غرب الصين استقر الحزب في الشمال، واتخذ من المنطقة الحدودية شنشي وقانسو ونينشغيا وعاصمتها «يانان» مركزاً للشيوعيين ولتطبيق الرؤى والاستراتيجيات الماوية الجديدة (اشتراكية يانان).

على عكس الشيوعيين التقليديين الذين اعتقدوا بأن الطبقة العاملة الصناعية هي الأكثر ثورية لأنها الطبقة الأكثر تطوراً ووعياً وتنظيماً؛ فمثلما ينتظم العمال بالآلاف في المصانع سينتظمون في الحراك الثوري للاستيلاء على سلطة الدولة، ولكن ماو رأى أن طبقة الفلاحين الفقراء والمعدمين (البلا أرض) هي الأكثر ثورية، ويرجع ذلك إلى كثرة عددهم. وتلك الرؤية عملية إلى حد كبير ولكن ماو طَعّم تلك الرؤية بمقولات نظرية؛ فالفلاحون هم الأكثر ثورية لأنهم الأكثر تعرضاً للاستغلال الإمبريالي. وكلما زاد الاستغلال قلت القدرة على احتمال صعاب الحياة، وبالتالي زادت احتمالية التمرد. كما أن الفلاحين الفقراء والمعدمين لا يمكن تقديم تنازلات لهم، لأنه ببساطة لا توجد طبقة ستتحمل قيمة تلك التنازلات. ولكن بالنسبة للعمال الصناعيين فإنه يمكن إغراؤهم وتشتيت وعيهم الطبقي من خلال التنازلات التي ستأتي على حساب الريف. ويجب أن نقول هنا أن رؤية ماو رؤية ماركسية تعتمد في الأساس على مقولة الصراع الطبقي، فماو لا يتجه من قريب أو من بعيد توجه النارودنيك الروس الذين قالوا إن الريف الروسي أقرب إلى الاشتراكية، لأن علاقات الإنتاج الرأسمالية لم تتخلل ذلك الريف بشكل كامل. ولكن على العكس فإن ماو يؤكد على أن الفلاحين أكثر ثورية، لأن العلاقات الرأسمالية هناك مكثفة ويتبع ذلك زيادة حدة الصراع الطبقي. ولكن وقفت أمام ماو معضلة تاريخية وهي أن المطلب الأساسي التاريخي للفلاحين هو الملكية الخاصة والتوزيع العادل للأرض الزراعية! وتزيد المعضلة تعقيداً مع توسيع دائرة التمثيل لتشمل الفلاحين المتوسطين، الذين حملوا ميولاً ونزعاتٍ رجعية، ولكن استطاع ماو حل تلك المعضلة، مع التشديد على الوعي الثوري ودوره المركزي في إشعال وإتمام الحركة الثورية. وبذلك رفض ماو التوجهات الماركسية الميكانيكية التي تقول إن الوعي مجرد شيء ملحق بالبنية التحتية المكونة من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج. فيمكن أن يؤدي فلاح فقير يمتلك قطعة صغيرة من الأرض دوراً ثورياً أكبر من العامل الصناعي، وذلك في حالة امتلاك الفلاح الوعي الثوري أو الوعي البروليتاري (بدون أن يصبح بروليتاريا بالمعنى الدقيق للكلمة)، وعدم امتلاك العامل الصناعي له. ففي اللحظة الثورية يصبح الوعي هو العامل المهيمن. وترتبط تلك الفكرة الماوية بنظرية أخرى، وهي نظرية أولوية علاقات الإنتاج على قوى الإنتاج؛ فيمكن من وجهة نظر الماوية السعي نحو علاقات إنتاج أكثر تطوراً حتى لو كانت قوى الإنتاج متخلفة، أي أنه يمكن مثلاً السعي نحو علاقات الإنتاج الاشتراكية أو تطبيق مبدأ «لكلٍ حسب عمله» مع وجود قوى إنتاج متخلفة بل ويمكن التقدم إلى الشيوعية حتى.

وسيتضح ذلك أكثر في مناقشتنا لمسار جمهورية الصين الشعبية وصراعات الحزب الداخلية، ولكن ما يهمنا الآن هو رؤية ماو التي تقول إن الفلاحين الذين عانوا من تردي كبير للغاية في مستوى تطور قوى الإنتاج يمكنهم السعي الثوري إلى علاقات الإنتاج الاشتراكية، وهذا ما حدث بالفعل في شنشي وقانسو ونينشغيا. وطبق ماو في ذلك الوقت نسخته الخاصة من الاشتراكية؛ تلك النسخة التي لم تتفق كلية

وهي النسخة التي ستظل حاضرة سواء نظرياً أو عملياً بشكل مُهيمِن في مسار جمهورية الصين من ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٧٥. ويمكن تلخيص تلك السياسات في نقطتين؛ الأولى هي دمج العمل الزراعي مع الصناعة، فماو عندما أعطى لواء الثورة للفلاحين لم يقصد أبداً تمجيد تخلف قوى الإنتاج وتأخر الريف، بل كما ذكرنا فإن الفلاحين كونهم أكثر عرضة للاستغلال فإنهم أيضاً الأكثر سعياً للاشتراكية، والتي تحمل لهم آمال تطوير قوى إنتاجهم عن طريق نماء العمل الصناعي في الريف. والنقطة الثانية هي دمج العمل اليدوي بالعمل الفكري أو دمج العمل اليدوي بالتعليم؛ فما أثار حفيظة ماو هو مدى تقسيم العمل والتخصص في الاتحاد السوفييتي مما أسفر عن المزيد من اللا مساواة بين العمل الفكري والعمل اليدوي. فسعت السياسات الماوية مدفوعة بحديث ماركس وإنجلز في البيان الشيوعي لتقليل تلك الاختلافات، فنشأت لدينا في يانان جامعات غير متخصصة تُعلِّم الطب والهندسة بجانب الزراعة والتصنيع والتدريب العسكري أيضاً.

هذه هي الخطوط العريضة لفكر ماو تسي تونغ وان قارناها بمفهوم التراكم الاشتراكي سنجد ان الماوية تسعى أيضاً للتراكم ولكن ليس باستخدام أساليب رأسمالية بل اسلوب اشتراكي يعتمد في الأساس على الوعي الثوري للجماهير القادرة على الانتقال من نمط إنتاج إلى نمط أرقى بدون الحاجة تطوير في قوى الإنتاج سواء المستوى التكنولوجي أو مستوى معيشة الجماهير، ان اضفاء الصبغة الجماهيرية على الاقتصاد وادارته تَبعه اضفاء نفس الصبغة على السياسة والايديولوجيا بالطبع وسينعكس ذلك في طبيعة الخلافات والصراعات الحزبية التي دارت في الصين.

بعد نجاح حرب التحرير الشعبية وبداية مرحلة «الديمقراطية الجديدة» (١٩٤٩- ١٩٥٢) وهي مرحلة برجوازية تمت تحت اشراف الحزب الشيوعي لاستعادة النظام الاقتصادي بعد الحرب وانهاء التضخم والفوضى، في ١٩٥٢ بدأت عملية الانتقال نحو الاشتراكية كما رآها الحزب والتي تمثلت في عملية تأميمات واسعة للصناعات ووضع خطط إنتاجية للتصنيع الثقيل ووضع خطة للانتقال من الملكية الفردية للرُقع الزراعية في الريف إلى الزراعة الجماعية ولكن بشكل متدرج، كان النموذج أمام أعين قيادات الحزب هو النموذج السوفييتي حيث تسود ملكية الدولة في المدينة والزراعة الجماعية في الريف وحيث يتم استغلال الريف لصالح الصناعة الثقيلة والتراكم في اطار التراكم الاشتراكي حتى لو لم يستخدم الحزب نفس المصطلح.

وتضمن تطبيق التراكم الاشتراكي استخدام أساليب رأسمالية أو بمعنى أدق نمط إنتاج رأسمالي وبشكل عام فإن الأساليب الرأسمالية التي تم تبنيها في عملية التراكم الاشتراكي احتاجت إلى فاعلين Agents أو شخوص تقوم بإدارة تلك الأساليب، وبالطبع قد اكتسب هؤلاء الفاعلون بعض الصفات الرأسمالية؛ الواضحة كالاستحواذ على فائض القيمة والسيطرة السياسية داخل المنشآت الاقتصادية واحتكار المعرفة. وسنشير إلى هؤلاء بمصطلح «شريحة التراكم الاشتراكي»، فهي مجرد شريحة وليست طبقة متكاملة الأركان لها مصالح موضوعية واحدة ولكنها شريحة وظيفية «تدير» التراكم الاشتراكي البدائي.

إن نمط الإنتاج الرأسمالي في الأساس يتكون من قوى إنتاج وعلاقات إنتاجية، والتي بدورها تتكون من علاقات الملكية الاستحواذية بجانب انفصال العمال عن أدوات الإنتاج؛ أي أن العامل مسلوبٌ من فائض قيمته ومسلوبٌ من تحكمه في أدوات الإنتاج، وبالنسبة للصين إبَّان التنمية الاشتراكية، فالشرطان متحققان ولكن لم توجد طبقة رأسمالية لتكون طرفاً في نمط الإنتاج،

الرأسمالي؛ لأن مفهوم الطبقة في الأساس هو مفهوم ليس اقتصادياً فقط بل وسياسيا واجتماعيا أيضاً. لذلك يجب أن تتوافر الشروط السياسية لإقامة الطبقة الاجتماعية وهي أنه يجب على المصالح الاقتصادية للجماعة التي يراد لها أن تكون طبقة أن تتبلور بشكلٍ كافٍ حيث تنتقل بعد ذلك من البنية الاقتصادية إلى البنية السياسية، فيصبح للطبقة مصالح سياسية عن طريق تطوير قدرة الجماعة الاقتصادية على التحكم في الدولة والتأثير فيها لتجعل الدولة تعيد إنتاج الظروف الاقتصادية والسياسية لضمان المصالح طويلة الأمد للطبقة الجديدة؛ لذلك فإن استحواذ جماعة من الناس على فائض القيمة غير كاف لتحول تلك الجماعة إلى طبقة اجتماعية، وهذا كان الحال بالنسبة لشريحة التراكم الاشتراكي التي أشرفت وأدارت نمط الإنتاج الرأسمالي في الصين حينذاك. وحديث المفكر الماركسي البان أفريقى أمركال كابرال يثبت ذلك؛ فعند حديثه عن المجتمعات الإفريقية يقول إن عدم وجود تباين طبقي واضح في إفريقيا قديماً لا ينفي أن لتلك المجتمعات تاريخاً حيث نمط الإنتاج (والموجود في كل المجتمعات) هو الأساس، ويمكن أن يوجد بدون تباين طبقي واضح.

فعلى الرغم من استخدام أساليب رأسمالية واضحة لإحداث التراكم، فإن تلك الأساليب كانت تحت سيطرة الحزب والدولة وبالتالي فحتى لو أنتجت تلك الأساليب «شبه طبقة» فإنها ستكون تحت سيطرة الحزب أيضاً. ويوجد من ادعى وجود طبقة بيروقراطية في الصين، وهو مصطلح استخدم بكثافة أثناء الثورة الثقافية، وهو مصطلح إيديولوجي إلى حد كبير؛ لأنه يجسد عداء المثقفين والطلبة لأجهزة الدولة بدون التفرقة بين البيروقراطية العليا والوسطى، وادعاء المثقفين أن صراعهم مع الطبقة البيروقراطية المزعومة هو صراع طبقي ضد الرأسمالية هو ادعاء إيديولوجي لأن أغلب البيروقراطية التي عاداها المثقفون والطلبة كانت من ضمن الطبقة الوسطى التي انتمى إليها الطرفان؛ فيمكن القول إن الصراع المقصود كان داخل الطبقة الوسطى.

لم يسِر التراكم الاشتراكي دون معارضة تساوت معه، بل وفي بعض الأحيان فاقته في القوة، وشكلت الماوية رأس الحربة لمواجهته؛ فمن عام ١٩٥٥ تبلور في الصين خطان أساسيان متصارعان مع بعضهما البعض؛ الأول هو الخط التقليدي للحزب الذي تبنى التراكم البدائي الاشتراكي تحت مجموعة مفاهيم نظرية ماركسية تقول إن تحقيق علاقات الإنتاج الاشتراكية ومن ثم الشيوعية لن يحدث إلّا بعد تحقيق قدر معين من تطور قوى الإنتاج، أي أن الأخيرة لها الأولوية. وهذه الرؤية تشاركتها أغلب القوى الشيوعية في العالم وخصوصاً القوى السوفييتية وهي تتوافق مع الخطوط العريضة لنظرية التراكم الاشتراكي البدائي. وكان هدف ذلك الخط هو التحديث المستمر، وتجسد ذلك سياسياً في سيطرة الحزب على عملية التحديث من خلال قيادته الطليعية للجماهير، ودفعهم لتأييد القرارات العقلانية التي يتخذها الحزب المنظم لينينياً عن طريق آلية المركزية الديمقراطية، بالإضافة إلى بقرطة الحزب والدولة. أي أن ذلك الخط لا يعطي للجماهير التي قامت بالثورة دوراً كبيراً في عملية الانتقال إلى الشيوعية أو مستويات أرقى من الاشتراكية.

أما عن الخط الثاني فهو الخط الجماهيري mass line الذي صاغه ماو من خلال «اشتراكية يانان». إن ذلك الخط يعطي لواء القيادة للجماهير الشعبية ويتحول الحزب إلى تلميذ لدى الجماهير ليتعلم منها ويفهم المطالب الجماهيرية والاحتياجات والرؤى عن التحول الثوري ويقوم الحزب - عن طريق كوادره - بإعادة

لمتابعة القراءة اضغط هنا

مع د. هشام غصيب

نظرية الثورة العلمية: عرض ونقد 2/2

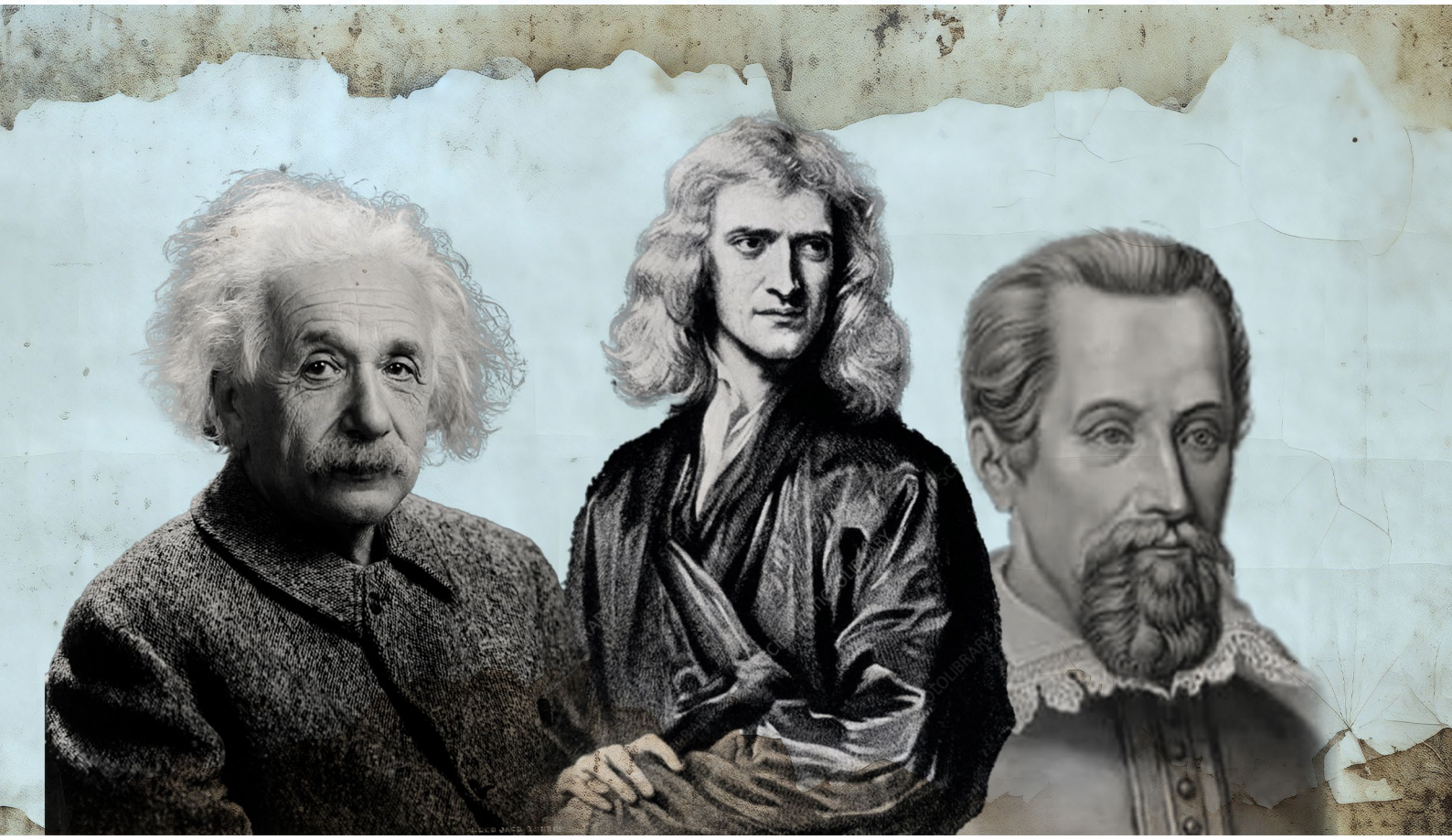

تنشر مجلة «تقدُّم» الفعالية (٢٣) من فعاليات منتدى الأطروحة (١١) على منصة «كلوب هاوس»، وهي محاضرة للدكتور هشام غصيب قدمها ضمن سلسلة (الماركسية والعلم)، التي طرح فيها رؤيته النقدية لبنية الثورات العلمية.

بعدما قدمنا نقداً لنظرية الثورة العلمية لدى كل من توماس كون ولوي ألتوسير، الآن أريد أن أعرض نظرية بديلة في الثورات العلمية بناءً على دراستي لتاريخ علوم الطبيعة. تحديداً، أريد أن أطرح هذه الفكرة: ليس هناك نمط واحد من الثورات العلمية، هناك نمطان من الثورات العلمية. أولاً يوجد ما أسميه «السوبر» ثورة، وثانياً توجد الثورات الهيجلية. «السوبر» ثورة هي التي يتم بموجبها ولادة علم جديد وذلك على أنقاض فلسفة الطبيعة، بمعنى أنه كل علم لديه فترة تاريخ وفترة ما قبل التاريخ، في فترة ما قبل التاريخ يتمثل العلم في فلسفة الطبيعة، ولكن في «السوبر» ثورة يتم تحطيم فلسفة الطبيعة وعبر أنقاضها يولد العلم الجديد. في هذه الحالة فإن العلم الجديد ينسف ما قبله، فعلى سبيل المثال جاليليو قام بنسف تصورات أرسطو فيما يخص الطبيعة. هنا، في «السوبر» ثورة يولد العلم الجديد على أنقاض مرحلة ما قبل التاريخ في العلم، وهذه الثورة تنطوي على ولادة أسس منهجية جديدة، بمعنى أنها ليست فقط ثورة في النظرية وإنما أيضاً في المنهج، فهي تؤدي إلى بروز أسس منهجية جديدة، وهذا في الواقع ما حصل. مثلاً، جاليليو – وإلى حدٍ ما كبلر ولاحقاً، نيوتن – أعطانا أسس منهجية جديدة تختلف عن

الأسس الأرسطية، فهي كانت ثورة في المنهج وليست فقط ثورة في النظرية. أكبر مثال على «السوبر» ثورة في اعتقادي هي الثورة العلمية الكبرى التي قامت بين عامي ١٥٤٣ — ١٦٨٧، أي بين السنة التي صدر فيها كتاب كوبرنيكوس حول دوران الأفلاك السماوية والتي توفي فيها أيضاً كوبرنيكوس مُشعل فتيل الثورة العلمية الكبرى، وبين السنة التي صدر فيها كتاب نيوتن «المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية» الذي شكّل قاعدة العلم الحديث كله. فهذه الفترة هي فترة الثورة العلمية الكبرى التي حطمت فلسفة الطبيعة تماماً، وأقامت على أنقاضها قاعدة العلم الحديث. هي «سوبر» ثورة لأنه هناك ثورة ليست فقط في النظرية، وإنما أيضاً في المنهج، في الأسس المنهجية الجديدة التي نشأت في هذه الفترة في الواقع. أهم شيء أنها ثورة نسفت القديم ولم تتركه على حاله. طبعاً القديم كان فيه تناقضات كبيرة ولكن الثورة العلمية الكبرى وجدت حل هذه التناقضات بتحطيم القديم، بتحطيم فلسفة الطبيعة وليس بتكريسها. يجب ملاحظة أن هذه النقطة في غاية الأهمية، بمعنى أن تناقضات القديم تجعله قابلاً لأن يُحطَّم تماماً: على أنقاض مرحلة ما قبل تاريخ العلم ينشأ تاريخ العلم أي ينشأ العلم الجديد.

طبعاً هنا النقد ليس فقط بمعناه النظري وإنما أيضاً بمعناه العملي، النقد Critique يؤدي دوراً كبيراً، في الواقع كوبرنيكوس بدأ العملية بوضع بديل لعلم الفلك القديم، وعلى هذا الأساس قام جاليليو بحملة نقدية حارقة لكل مقولات العلم القديم، وذات الشيء فعله كبلر. هذا النقد الحارق دمر القديم أو فلسفة الطبيعة وأقام على أنقاضها العلم الجديد. فإذن هذا ما تتسم به «السوبر» ثورة، فهي أولاً تنطوي على ثورة في الأسس المنهجية وليست فقط في النظرية، وهي تنقل العلم من مرحلة ما قبل التاريخ إلى مرحلة تاريخه، وهي تلك الثورة التي يولد بموجبها العلم الجديد على أنقاض العلم القديم، وهي تقوم على النقد الحارق للقديم. طبعاً في الثورة العلمية الكبرى اكتشف جاليليو قوانين الحركة الأرضية، اكتشف كبلر قوانين السماوات أو الكواكب، ثم قام نيوتن بدمج قوانين جاليليو التي تحكم الحركة على سطح الأرض بقوانين كبلر التي تحكم حركة السماوات. عندما ننظر إليهما على السطح، فهذه القوانين لا تشبه بعضها بعضاً بل تتناقض مع بعضها البعض، إلّا أن نيوتن أجرى دمجاً جدلياً ديالكتيكياً بين النقيضين فأعطانا نظريته الكونية في الجاذبية وفي الحركة: الديالكتيك موجود في النظرية العلمية ولا أحد يستطيع إنكار ذلك.

ثانياً، توجد الثورات الهيجلية – وأسميها النظريات الهيجلية أو الثورات الهيجلية – لأنها في الواقع تسير وفق جدل هيجل كما في كتابه علم المنطق. إذا كانت «السوبر» ثورة تقع في مرحلة ما قبل تاريخ العلم، فإن الثورات الهيجلية تقوم في مرحلة تاريخ العلم، أي بعد أن تقطع النظرية العلمية شوطاً في التطور تصل معه إلى حد أن تقوم فيها ثورات، لكن هذه الثورات لا تكون في الأسس المنهجية، بحيث تظل الأسس المنهجية كما هي، وإنما تكون ثورات في النظريات وتأويلها. لذلك نحن مثلاً، في الفيزياء، نجد أن النظرية الكلاسيكية التي أرسى قواعدها اسحق نيوتن قد أضحت مثقلة بالتناقضات في نهاية القرن التاسع عشر. طبعاً أغلب العلماء لم يشعروا بذلك- بعضهم شعر بهذه التناقضات ولكنهم لم يتملّكوها تماماً- ولكن هذه التناقضات موضوعياً أدت إلى تفجر القديم، وإلى تحويل القديم إلى جديد. بالدرجة الأولى حدث ذلك على يد ماكس بلانك وألبرت آينشتاين. في الواقع قامت ثلاث ثورات هيجلية في مطلع القرن العشرين، الثورة النسبية الخاصة، الثورة النسبية العامة، وثورة ميكانيكا الكوانتوم، وهذه الثورات قامت نتيجة التناقض -وليس كما قال توماس كون بالقفزات

وأوضحت، في أكثر من عمل لي، أنها قامت نتيجة تناقضات النظرية الكلاسيكية نفسها. النظرية الكلاسيكية كان فيها أبعاد ميتافيزيقية، بحيث كان تصور الكون - في نهايات القرن التاسع عشر- أنه يتكون من كيانات جوهرية معزولة تماماً عن بعضها البعض، وتتفاعل عرضياً مع بعضها بعضاً، ولكنها في الوقت ذاته تستثني بعضها بعضاً. لاحظوا التناقض الجدلي هنا، مثلاً كان المكان المطلق قائماً بذاته وجوهري؛ الزمان المطلق قائم بذاته وجوهري؛ الجسيمات المادية قائمة بذاتها وجوهرية؛ المجالات مثل المجال الكهرومغناطيسي يكون فيها المجال قائماً بذاته ومختلف عن الجسيمات؛ الأثير- كان هناك افتراض أن هناك أثيراً أي ذلك المائع الذي يملأ المكان اللا نهائي كله؛ ثم كان لدينا أيضاً التفاعل اللحظي عن بعد إشارة إلى الجاذبية: ستة كيانات جوهرية مختلفة، هكذا كانت المادية الميتافيزيقية تحكم النظرية الكلاسيكية.

الآن كان هنالك توتر بين هذه النقائض أدى في النهاية إلى تدمير كل هذه الجدران المطلقة التي تفصل هذه الكيانات الجوهرية عن بعضها البعض، وتحل التناقضات بينها عن طريق هذه الثورات. الحل ليس لكل التناقضات ولكن عدداً منها.

على سبيل المثال، الآن في نهاية القرن التاسع عشر كانت توجد لدينا هذه المجموعة المُطلقات (مكان مطلق، زمان مطلق، جسيمات مطلقة، مجال كهرومغناطيسي مطلق، أثير مطلق، وتفاعل جاذبي لحظي مطلق عن بعد)، والتي كانت كلها في الواقع متناقضة مع بعضها البعض، وتستثني بعضها البعض، ولا يتحول واحد منها للآخر، لا توجد علاقات ضرورية بينها. لكن في التصور الجدلي – الديالكتيك- فإن أساس الجدل هو العلاقات الضرورية والتناقضية والتحولية، هذا هو جوهر الديالكتيك، ذلك أن العلاقات الديالكتيكية هي علاقات ضرورية وليست عرضية، وعلاقات تناقضية، وتحولية بحيث يتحول الشيء إلى آخر، بمعنى أنه ليس هناك جدران مطلقة بينها كما كان في الفيزياء الكلاسيكية في نهاية القرن التاسع عشر بوجود هذه المطلقات.

وقد أدرك بعض العلماء إنه لا يجوز أن يكون لدينا كيانات جوهرية إلى هذا الحد، فبدأت محاولات توفيق بين بعض هذه المطلقات مع بعضها البعض، مثلاً، حاول لودڤيج غولدمان، العالم النمساوي الكبير، بقوله إن قوانين الحرارة الثيرموديناميكا لابد أن تكون انعكاساً لقوانين الميكانيكا، فاستطاع أن يشتق قوانين الثيرموديناميكا وبالذات مفهوم الانتروبي من قوانين نيوتن في الحركة عندما طبقها على الذرات التي افترض وجودها. ورغم أنه أفلح في ذلك إلّا أنه هوجم بشدة خصوصاً من جانب إيرنست ماخ الفيلسوف الوضعي المشهور [الذي كان موضع نقد لينين في كتاب المادية والمذهب النقدي التجريبي]، ليزعم أن غولدمان يتحدث عن أوهام مثل فكرة الذرة. نفس الأمر قام ماخ أيضاً بمهاجمة العالم الكيميائي الألماني أوستفالد، واستطاعوا أن يقنعوا الناس أنهم على حق [في فكرة فصل مجموعة المطلقات] ولكن فيما بعد اتضح بأن غولدمان كان محقاً.

هذه أول محاولة، جرت بعدها محاولة أخرى لاختزال إما الكهرومغناطيسية إلى الميكانيكا أو الميكانيكا إلى الكهرومغناطيسية، حيث قام العالم الكبير ماكسويل بمحاولة اختزال المجال الكهرومغناطيسي إلى معادلات نيوتن لكنه أخفق في ذلك. ثم جاء العالم الهولندي لورنس والرياضي الفرنسي الشهير بوانكاريه، وعالم ألماني اسمه ماكس ابراهام، وهؤلاء حاولوا في الواقع أن يشتقوا قوانين نيوتن من المجال الكهرومغناطيسي لكنهم أخفقوا في ذلك. هنا جاء دور آينشتاين والذي كان عبارة عن مجرد كاتب من الدرجة الثالثة في مكتب براءة الاختراع

في مدينة بيرن السويسرية، إلّا انه كان يشتغل منذ عدة سنوات على هذه التناقضات إذا لاحظ أن هناك علة في هذه التركيبة الميتافيزيقية. بالمناسبة، هذه العلة كان قد بدأ في نقدها فريدريك انجلز في الواقع بإشارته إلى البعد الميتافيزيقي في النظرية الكلاسيكية في كتاباته ضد دوهرينغ، وفي جدل الطبيعة.

المهم أن آينشتاين تساءل عن سبب إخفاق العلماء المذكورين في اجراء هذا الاختزال؟ لكنه أدرك بأن هناك تناقضاً بين نظرية ماكسويل في الكهرومغناطيسية ونظرية نيوتن في الميكانيكا. لاحظ هنا بأنه كان جدلياً من حيث لا يدري بينما هو كان يظن بأنه كان وضعياً، لكنه في الواقع كان جدلياً دياليكتيكياً، إذ أننا نستطيع أن نشتق هذه من تلك لأن هناك تناقض في التناظر، التناظر الذي يحكم نظرية ماكسويل مختلف عن ذاك الذي يحكم نظرية نيوتن، وبدون دخول في تفصيلات فيزيائية كان هناك تناقض بينهما وعلينا بحسب آينشتاين أن نحل هذا التناقض.

هو مال نحو ماكسويل لأن نظرية ماكسويل كانت أكثر اتساقاً من نظرية نيوتن، فبدأ من نظرية ماكسويل مفترضاً بأن تناظرها يحكم حتى الميكانيكا، وقام بتطبيق تناظر ماكسويل على نظرية نيوتن ليقلبها رأساً على عقب، إذ حطم مفهوم المكان المطلق، وحطم مفهوم الزمان المطلق، وبالتالي أزال هذا الجدار المطلق بين المكان والحركة وبين الزمان والحركة. ثم بعد ثلاث سنوات، قام هيرمان مينكوفسكي، أستاذ آينشتاين، بدمج النقيضين الزمان والمكان فيما يُعرف بـ «الزمكان»، Space-Time وبدون التعمق في هذه التفصيلات أود الإشارة إلى الجدل هنا، والأهم من ذلك، اكتشف آينشتاين كنتيجة لهذه الثورة التي قام بها، وهي أن التناظر الماكسويلي ينسحب حتى على الميكانيكا، وتوصل إلى نتيجة أن هناك علاقة ما بين الطاقة والكتلة، وهي المعادلة المشهورة: $E= mc^2$

أي أننا يمكن أن نحول ما يسمى الطاقة إلى الكتلة، ونحول الكتلة إلى طاقة، أي أنه أزال هذا الجدار المطلق بين الجسيمات وبين المجالات، بحيث يمكن أن تتحول الجسيمات إلى مجالات وأن تتحول المجالات إلى جسيمات.

أي أن المنطق الصوري هنا انهار بأكمله!

د. هشام غصيب: بالضبط، تحت ظروف معينة يمكن أن نحول هذه إلى تلك وتلك إلى هذه، وقد أثبتتها التجارب منذ ذلك الوقت آلاف المرات، فالكتلة والطاقة هما شيء واحد، هما مظهران متناقضان لشيء واحد، ويتحولان إلى بعضهما بعضاً. هذه كانت ثورة كبيرة قام بها آينشتاين، عندما بيّن بأننا نستطيع أن نحول الجسيمات إلى مجالات والمجالات إلى جسيمات. آينشتاين دمّر هذه الكيانات الجوهرية: أولاً أقصى مفهوم الأثير فقال لسنا بحاجة إليه؛ كما قال بأن التفاعل عن بعد غير صحيح فعلينا أن ننشئ نظرية مجالية في الجاذبية وبذلك حطَّمَ هذه المسألة؛ حطَّمَ مفهوم المكان المطلق والزمان المطلق، وقام بالتوحيد بين الزمان والمكان كما فعل بين الجسيم والمجال.

بهذه النظرية، نظرية النسبية الخاصة، استطاع آينشتاين في الواقع - بطريقة جدلية فذة- أن يُدمِّرَ تماماً هذا التصور الميتافيزيقي للكيانات الجوهرية التي تفصلها عن بعضها بعضاً جدران شاهقة لانهائية في العلوم، وأن يبين بأن كل هذه الكيانات التي نقول إنها جوهرية، تتحول إلى بعضها بعضاً أو أنه لا لزوم لها، هذه في نظرية النسبية الخاصة.

الوقت لا يتسع هنا للحديث عن النظرية النسبية العامة، ربما في مناسبة أخرى أبيّن كيف قاد التناقض بين نظرية النسبية الخاصة ومفهوم

لمتابعة القراءة اضغط هنا

التعليق الأول لبعض مواد دستور الكويت وتعطيل الحياة النيابية قبل نصف قرن

خلال العطلة الصيفية لمجلس الأمة الرابع، الذي كانت جلسته الأخيرة قبل مباشرته العطلة قد شهدت تبادل عبارات الثناء والمجاملة حول التعاون الايجابي بين السلطتين في كلمتي رئيس مجلس الأمة حينذاك خالد الغنيم، ونائب رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر العلي السالم... وفجأة، ومن دون مقدمات، جرى الإعلان عبر الإذاعة والتلفزيون صبيحة يوم الأحد، الرابع من شهر رمضان المبارك من العام الهجري ١٣٩٦ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٧٦، عن رفع سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء حينذاك الشيخ جابر الأحمد كتاب استقالة الحكومة إلى سمو الأمير الأسبق الشيخ صباح السالم، متضمناً اتهامات شديدة إلى مجلس الأمة بأنّه المسؤول عن «تعطل النظر في مشروعات القوانين، التي تراكمت مدة طويلة لدى المجلس ولم يتيسر لأغلبها أن يرى النور بالرغم من أهميتها الحيوية»، وأن «الكثير من الجلسات، التي يعقدها المجلس تضيع من دون فائدة، كما أصبح التهجم والتجني على الوزراء والمسؤولين دون وجه حق همّ الكثيرين من الأعضاء، وأصبح من الصعب على الوزراء الاستمرار في العمل».

وفي اليوم ذاته ألقى سمو الأمير الأسبق الشيخ صباح السالم، الذي كان قد عاد قبل فترة وجيزة من رحلة علاج في الخارج، خطاباً عبر الإذاعة والتلفزيون تضمن نقداً شديداً لمسار الحياة الديموقراطية.

وجرى الإعلان أيضاً عبر الإذاعة والتلفزيون ومن خلال طبعة خاصة مجهّزة من الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» عن إصدار مجموعة من الأوامر الأميرية، بعضها كان دستورياً، وهما الأمران الأميريان بقبول استقالة رئيس مجلس الوزراء وإعادة تعيين الشيخ جابر الأحمد رئيساً لمجلس الوزراء، وبعضها الآخر صدر خارج الإطار الدستوري، حيث قضى أحدهما بتعليق العمل بعدد من مواد الدستور، وتعطيل الحياة النيابية، وقضى الآخر بإصدار تعديل على قانون المطبوعات والنشر لإضافة المادة ٣٥ مكرر بما يتيح للحكومة تعطيل الصحف إدارياً.

إذ أوقف الأمر الأميري في مادته الأولى العمل بأحكام مواد الدستور ٥٦ فقرة ٣، و١٠٧، و١٧٤، و١٨١، فيما قررت مادته الثانية حلّ مجلس الأمة، وتولي الأمير ومجلس الوزراء الاختصاصات المخولة لمجلس الأمة بموجب الدستور... وقضت المادة الثالثة من الأمر الأميري بصدور القوانين بمراسيم أميرية، ويجوز عند الضرورة إصدارها بأوامر أميرية.

ونصت المادة الرابعة على أن «يصدر مرسوم بتشكيل لجنة من ذوي الخبرة والرأي للنظر في تنقيح الدستور لتلافي العيوب، التي أظهرها التطبيق العملي وتوفير الحكم الديموقراطي السليم والحفاظ على وحدة الوطن واستقراره، على أن يكون التنقيح متفقاً مع روح شريعتنا الغراء، مأخوذاً من تقاليدنا العربية الكويتية الأصيلة».

وحددت المادة الخامسة فترة عمل لجنة تنقيح الدستور بستة أشهر من تاريخ تشكيلها، وأن ترفع مقترحاتها إلى الأمير بعد موافقة مجلس الوزراء، ويعرض المشروع على الناخبين للاستفتاء عليه أو يعرض على مجلس الأمة المقبل لإقراره خلال مدة لا تزيد على أربع سنوات، أي حتى العام ١٩٨٠.

ظروف وعوامل:

إذا حاولنا أن نبحث عن تفسير نحدد خلاله السبب الوحيد أو المباشر، الذي أدى إلى الانقلاب الأول على الدستور في أغسطس من العام ١٩٧٦، فسنجد أنّه من الصعب الوصول إلى مثل هذا السبب الوحيد أو المباشر.

فمجلس الأمة كان في عطلته الصيفية، ولم تكن هناك علاقة متوترة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية خلال دور الانعقاد السابق للعطلة.

ولكن الأرجح أنّه من بين تلك الدوافع يبرز دافع

إضعاف نفوذ الشيخ جابر العلي نائب رئيس الوزراء، الذي كان يمتلك تأثيراً ملحوظاً على عدد ليس قليل من أعضاء مجلس الأمة.

ردود الفعل الشعبية:

صبيحة يوم الأحد ٢٩ أغسطس من العام ١٩٧٦، وبالتزامن مع إذاعة استقالة الحكومة وخطاب الأمير وإعلان الأوامر الأميرية غير الدستورية، دعا وزير الشؤون الاجتماعية والعمل حينذاك الشيخ سالم صباح السالم إلى اجتماع عام حضره ممثلو النقابات والجمعيات والهيئات الشعبية لشرح مبررات تلك الإجراءات والطلب من ممثلي المجتمع المدني تأييدها.

وكان الموقف الأوضح هو موقف ناصر الفرج رئيس الاتحاد العام لعمال الكويت، الذي كان حاضراً الاجتماع مع زميله القيادي النقابي الأخ حسين اليوحة، حيث ردّ على حديث الوزير وأعلن باسم الحركة النقابية العمالية رفض تلك الإجراءات.

كما نشرت بعض الصحف والمجلات مقالات غير مؤيدة، فردّت الحكومة عليها بتعطيلها إدارياً وفقاً للأمر الأميري باستحداث المادة ٣٥ مكرر من قانون المطبوعات، وهذه الصحف هي: «الوطن»، و«الطليعة»، و«الرائد»، و«الاتحاد»، و«الرسالة»، و«الهدف».

وكذلك أصدرت سبع من الهيئات الشعبية بياناً طالبت فيه «بعودة الشرعية والحكم الدستوري، واسترداد المكاسب الديموقراطية بأسرع وقت»، وهي:

- الاتحاد العام لعمال الكويت.

- رابطة الأدباء.

- جمعية المحامين.

- جمعية الصحافيين.

- نادي الاستقلال.

- جمعية المعلمين.

- الاتحاد الوطني لطلبة الكويت.

وكانت قيادتا الاتحادين العام لعمال الكويت والوطني لطلبة الكويت حينذاك وقتها تتكون من العناصر التقدمية، بينما لم تشارك «جمعية الخريجين» و «جمعية الإصلاح الاجتماعي» في التوقيع على بيان الهيئات الشعبية.

ومن جانب آخر قام قياديو الاتحاد العام لعمال الكويت بتوزيع نسخ عديدة من البيان في بعض مناطق الكويت وعلى المصلين في المساجد خلال شهر رمضان، حيث لم تنشر الصحف، التي استمرت في الصدور ذلك البيان.

فردّت الحكومة باعتقال موزعي البيان وعدد من أعضاء المجلس التنفيذي للاتحاد العام لعمال الكويت، وهم:

جلال السهلي.

علي الكندري.

ناصر ثلاب.

نهار عامر مكراد.

ناصر الفرج.

رجا العتيبي.

حسين اليوحة.

لعمال الكويت، فلم يتم حلّه لأسباب تتصل بأحكام قانون العمل، التي تشترط صدور حكم قضائي بالحلّ.

تأخر رد الفعل النيابي:

واللافت للانتباه أنّ أعضاء مجلس الأمة المنحلّ أنفسهم، لم يبدوا رد فعل فورياً على قرار الحلّ والاتهامات الموجهة ضدهم.

ولاحقاً بعد مضي نحو سنة، رفع ١٨ نائباً مذكرة إلى سمو الأمير أكدوا فيها ضرورة عودة مجلس الأمة المنحل وفقاً للمادة ١٠٧ من الدستور، وعدم جواز تعطيل أي حكم الدستور إلا أثناء قيام الأحكام العرفية وفقاً للقانون.

وفي وقت لاحق قامت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بحلّ مجالس الإدارات المنتخبة للجمعيات الموقّعة على البيان المعارض للإجراءات غير الدستورية، وفرضت مجالس إدارات معينة عليها، ثم أصدرت في العام ١٩٧٧ قراراً بحلّ نادي الاستقلال، الذي كان مركز تجمع عناصر المعارضة التقدمية، أما الاتحاد العام

مادة جديدة في قانون المطبوعات

تعطيل الجريدة سنتين أو إلغاء ترخيصها إذا تعارضت سياستها مع المصلحة الوطنية

أصدر سمو أمير البلاد أمراً أميرياً بقانون بإضافة مادة جديدة إلى قانون المطبوعات والنشر تخول مجلس الوزراء سلطة تعطيل الصحف إذا تعارضت سياستها مع المصلحة الوطنية أو ثبت أنها تخدم مصالح دولة أو هيئة أجنبية . وفيما يلي نص المادة الجديدة :

« مع عدم الإخلال بالجزاءات المنصوص عليها في هذا القانون أو أي قانون آخر ، يجوز بقرار من مجلس الوزراء تعطيل الجريدة مدة لا تجاوز سنتين أو إلغاء ترخيصها إذا ثبت أنها تخدم مصالح دولة أو هيئة أجنبية أو أن سياستها تتعارض مع المصلحة الوطنية أو إذا تبين أنها حصلت من أية دولة أو جهة أجنبية على معونة أو مساعدة أو فائدة في أية صورة كانت وأي سبب وتحت أية حجة أو تسمية حصلت بها عليها بغير إذن من وزارة الإعلام .

كما يجوز — عند الضرورة القصوى — أن يوقف إصدار الجريدة بقرار من وزير الإعلام لمدة لا تجاوز ثلاثة أشهر .

ولا يجوز لأي جريدة نشر أي إعلان أو بيان من دولة أو هيئة أجنبية قبل موافقة وزارة الإعلام .

ويجوز التظلم من قرار التعطيل أو الإلغاء أو الوقف إلى مجلس الوزراء خلال أسبوعين من إبلاغ مالك الجريدة بالقرار ويكون قراره في التظلم نهائياً » .

حل مجلس الأمة وتشكيل وزارة جديدة وتعديل قانون المطبوعات

تضمنت مراسيم أمس التطورات والمراسيم الخاصة باستقالة الوزارة وحل مجلس الأمة وتنقيح الدستور .

في الساعة الثانية من صباح أمس عقد مجلس الوزراء جلسته الأخيرة ، حيث أطلع سمو خطاب استقالة الوزارة وسببها .

الأمير الأميري بتنقيح الدستور

كاريكاتير العدد

بريشة الفنان البرازيلي كارلوس لاتوف

تقدُّم